Ministre de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj -Bouira-
Tasadawit Akli Muhend Ulhag - Tubirett-
Faculté des Lettre et langues

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العقيد أكلي محند أولحاج
-البويرة-
قسم: اللغة والأدب العربي
تخصص: دراسات أدبية

جامعة البويرة

صورة الأسطورة في رواية "البئر" لابراهيم الكونى

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبة:
- سليمة قاصب

إشراف الدكتورة:
د-عليوات سامية

لجنة المناقشة

الأستاذ علوات كمال.....رئيسا

الأستاذة: عليوات سامية .....مشرفا

الاستاذ: بن زياني زين العبدين .....مناقشا

السنة الجامعية 2017/2016

شكر

أحمد الله تعالى الّذي وفّقني لإتمام هذا العمل

وأتقدّم بخالص الشّكر وجزيل الثّناء إلى الأستاذة

المشرفة اعترافا بفضلها في رعاية هذا البحث

تصويبا وتقويما، وأشكر كذلك أساتذة كليّة

الآداب واللّغات بـ"جامعة آكلي محند أولحاج"

وكلّ العاملين في قطاع هذه الجامعة، والله تعالى

أسأل التوفيق والسّداد.

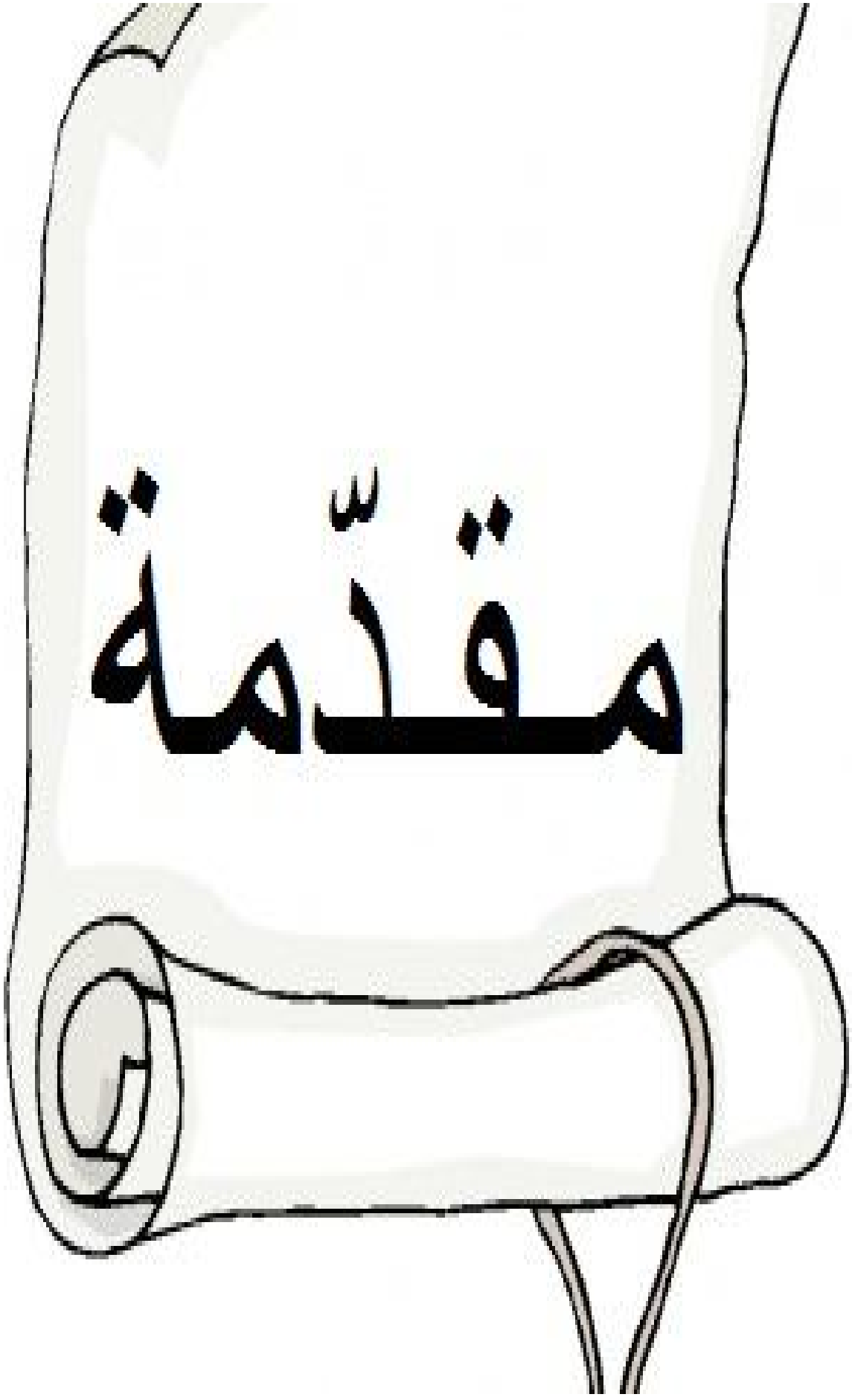
مقدّمة

مقدّمة :

أقبل الباحثون على دراسة الأساطير واتّخذوا في ذلك اتّجاهات وطرقا متعددة، حيث تعتبر الأساطير قديما وحديثا مصدرا خصبا من مصادر دراسة الشّعوب والمجتمعات وتحليل رؤيتها للكون، والمجتمع والإنسان، وقد بدأت الأساطير بما هي ظواهر ثقافيّة في أيّ مجتمع من المجتمعات، حيث ولّى ذلك العهد الّذي كانوا ينظرون فيه إليها على أنّها أوهام وأباطيل، لذلك نجدهم قد عنوا بها في أوروبا منذ القرون الوسطى حتى الآن عناية فائقة على اختلاف المواقف و المنطلقات ووجهات النّظر.

واتّفق جلّ الدّارسين على أنّ الأساطير من نتاج الخيال البشريّ الخلاق فهم يؤكدون أنّها ليست مجرد وهم وأنّ لها علاقة بالواقع أو الحقيقة، فالأسطورة بمعناها العام هي عبارة عن محاولة الهدف منها تصوير الحياة الطّبيعيّة الإنسانيّة بمختلف معانيها، بكلّ أمانة، بهذا المعنى تهتم بالحقائق وتناقلها كما هي دون نقص أو زيادة.

وما يهم في هذا الموضوع هو محاولة الكشف عن الأساطير الّتي وظّفها الكوني في رواية البئر، وهو موضوع بحثي ولعلّ دراستي لهذه الرواية كانت سببا في محاولة إثراء i*h العمل الأدبي لهذا الروائي، الّذي لاقى تكريما عند العرب و الغربي وذلك رغبة منّي في تسليط الضّوء على واقع رّواية البئر لإبراهيم الكونيّ، فهل وفّق الكوني في توظيف هذه الأساطير؟ وهل وصل إلى ما كان يرمي إليه من خلال دلالتها؟

وقد اعتمدت في ذلك على الدراسة الوصفية التحليلية التي تتناسب مع طبيعة هذا الموضوع.

أمّا عن خطّة البحث فقد عملت بحسب ما تقتضيه منهجيّة البحث، فارتأيت أن يشتمل عملي هذا على فصلين، إحداهما نظريّ إستخرجت فيه المادة الأسطوريّة من أمهات الكتب و المعاجم، والثّاني تطبيقيّ تحليليّ.

أمّا من النّاحية العملية فقسّمت الفصل الأوّل المعنون (ضبط المفاهيم) إلى عدّة عناصر، فجعلت أوّلها مفهوما للأساطير، درست فيه التّعريف اللّغوي والاصطلاحي، درست فيه الإرهاصات الأولى لنشأة الأسطورة، بعدها درست أنواع الأساطير، ومن بعد ذلك حاولت دراسة اتجاهات الأسطورة، أمّا العنصر الأخير كان استمرارا لطبيعة العلاقة بين الأسطورة والأدب.

أمّا الفصل الثّاني فجاءت الدراسة فيه تتمحور حول القضايا الأسطوريّة الّتي وظّفها الكوني وذلك نظرا لما قدّمه في هذا المجال، وقد حاولت من خلال هذه الدّراسة الكشف عن الأساطير الّتي وظّفها الكوني في روايته(البئر) و الغوص في جوهرها، من أجل الكشف عن اللّغز الّذي تحتويه كلّ أسطورة، وكان ذلك بالدّراسة والكشف والتّحليل، لإعادة وصف الطّابع الّذي ساد على الأساطير، وأخيرا نظريّة الكوني في تضافر العلاقة بين الإنسان والصّحراء، وينتهي البحث بخاتمة خلصت من خلالها إلى مجموعة من النّتائج الّتي توصلت إليها من خلال هذه الدّراسة.

ومن بين المراجع الّتي اعتمدتها ، مؤلّف أحمد إسماعيل النعيمي بعنوان (الأسطورة في الشّعر العربي قبل الإسلام) وكان من بين هذه الدّراسات كذلك موضوع الباحث ميخائيل مسعود (الأساطير والمعتقدات العربيّة قبل الإسلام) إضافة إلى بعض الدّراسات الّتي تناولت هذا

البحث، ولا أنكر في هذا المقام ما تخلّل البحث من صعوبات وعراقيل تمثّلت في العديد من الصعوبات، كصعوبة الرّبط بين أفكار العلماء ممن تناولوا هذا الموضوع، إضافة إلى تفسير المفهومات لكثير من الأساطير الّتي تناولها الكوني إضافة إلى بعض الصعوبات، تمثلت في صعوبة جمع المادة العلميّة بالإضافة إلى ضيق الوقت، وهذا ما لا يخلوا منه أيّ بحث، كما أني واجهت صعوبة في الحصول على المصادر والمراجع، باعتبار أنّ هناك الكثير من الدّارسين الذين تناولوا قضيّة الأساطير.

الفصل الأوّل: ضبط المفاهيم

1- مفهوم الأسطورة

أ. المفهوم اللّغوي

ب. المفهوم الاصطلاحي

2- الإرهاصات الأولى لنشأة الأسطورة

3- أنواع الأساطير.

4- اتجاهات دراسة الأسطورة.

5- علاقة الأسطورة بالأدب

1_ مفهوم الأسطورة:

أ. المدلول اللّغوي:

جاءت لفظة الأسطورة في المنظور اللّغوي في باب السّين

« سطر:السّطرُ والسَّطرُ: الصّف من الكتاب والنّخل ونحوها...والجمع من كلّ ذلك أسطرُ وأسطارٌ وأساطيرُ...» [1]

بمعنى تقسيم وتصفيف الأشياء فالأسطورة تعني الكلام المسطور المصفوف الذي يظهر كقصائد الشعر

وقال الزّجاج في قوله تعالى« وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ... » النحل 24 بمعنى الأباطيل و الخرافات، أحاديث لا أساس لها من الصحة، خبر لابتداء محذوف المعنى، وقالوا الّذي جاء به أساطير الأوّلين، معناه سطّرهُ الأوّلون وواحد الأساطير أسطورة، كما قالوا أحدوثة وأحاديث... والأساطير: الأباطيل. والأساطير: أحاديث لا نظام لها، واحدتها إسطارٌ وإسطارةٌ، بالكسر، وأُسْطيرٌ وأُسْطيرَةٌ، وأسطورٌ وأسطورةٌ بالضّمّ»[2] بمعنى صففها أي رتبها.

وقد وردت لفظة أساطير في معجم الوسيط بمعنى الأسطورة : الكتابة، الترتيب.

التقطيع (الساطور) التسطير بمعنى رسم خطوط بالمسطرة و نقصد بها الأكاذيب و الأباطيل « سطّر الكتاب، سطر كتبه، فلانا: صرعه و– الشّيء بالسيف قطعه، (أسطر):الشّيء أخطأ في قراءته، ويقال، أسطر اسمي: تجاوز السطر الّذي هو فيه،(سَطْرَ) الكتاب: سَطْرَهُ والورقة: رسم فيها خطوطا بالمسطرة.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، ط4، بيروت لبنان، 2005،ص 181.

[2]- المصدر نفسه، ص182.

والعبارة ألّفها ويقال: سطر الأكاذيب وسطر علينا قصّ علينا الأساطير(استطر) الكتاب سَطَرَه.

(الأساطير) هي الأباطيل والأحاديث العجيبة، وفي التّنزيل العزيز« إن هذا إلاّ أساطير الأوّلين»الأنفال 31 واحدها إسطار، إسطير، وأسطور بالهاء في الثّلاثة» [1]

أمّا في معجم الوجيز فقد وردت لفظة أسطورة تحت مادة سطر بمعنى« (سَطَرَ) الكتاب: سطر كتبه فهو مسطور.

(سطر) الورقة: رسم فيها خطوطا بالمسطرة.

والأساطير هي الأباطيل والأحاديث العجيبة وأحدثها أسطورة» [(2)]« لم ترد كلمة أسطورة في القرآن الكريم أقدم أثر مدوّن، في صيغة الإفراد وإنّما صيغ الجمع، وفي تركيب بعينه هو(أساطير الأولين) الأنعام(26) وهي مشتقة من سطر واسم المفعول منها مسطور(ن والقلم وما يسطرون) القلم 01، (أو كان ذلك الكتاب مسطورا) النّحل(24)» [(3)]، يلاحظ من خلال تتبعنا لمادة(سطر) في المعاجم اللّغويّة أنّ معناها تغيّر من معجم لآخر، بسبب تغيّر الحقب الزّمنيّة الّتي ألّفت فيها هذه المعاجم إلاّ أنّ ذلك لا يعني اتّفاقها في المعنى الجوهريّ لمادة "سطر" فمصطلح أسطورة وان لم يرد بصيغة الإفراد إلا أنّه ورد بصيغة الجمع(أساطير) والّتي تعني الحكايات الخرافيّة والأحاديث الخارقة للعادة.

أمّا الاختلاف في معناها فيكمن في أنّه في المعجم الوسيط وكذا في المعجم الوجيز، ثمّ ربط هذا المعنى بالمستجدات كذكر المسطرة، وهذا ما لا نجده عند "ابن منظور" في لسانه، وقد ذهب بعض الّغويين في تخريج هذه الكلمة مذاهب شتّى« فهذا أبو عبيدة عالم اللّغة

---

[1]- مجمع اللّغة العربيّة، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدّوليّة، ط4، (دم)، 2004، ص429.

[2]- مجمع اللغة العربيّة، معجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتّعليم،(دت)،(دم)، 315.

[3]-محمد عجينة، أساطير العرب (عن الجاهليّة ودلالتها)، دار الفارابي، ط1، بيروت لبنان، 1924، ص16.

الشّهير(ت210ه) يعتبر أنّ صيغتها هي صيغة منتهى الجموع، لأنّ أساطير عنده جمع أسطار، وأسطار جمع سطر» [1]

وجاء في قوله تعالى:« وقالوا أساطير الأوّلين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا» الفرقان (5)، ولذلك فإنّ أساطير الأوّلين هي دوما أساطير السّابقين وقلّما نجد شعبا من الشّعوب يقرّ بأنّ أساطيره يمكن إدراجها في كتب الأساطير، لذلك فإنّها قد تندرج ضمن أبواب شتى، كالكتب العلميّة.

ب. المفهوم الاصطلاحي:

غنيّ عن القول أنّ أساطير الشّعوب المختلفة مترابطة في أسسها، وأنّ لكلّ شعب مثيولوجيّة خاصة به، فالأسطورة تختلف عن الخرافة في كونها تتناول الآلهة فلا يمكن تخيّل أسطورة خالية من الخرافات.

جاءت الأسطورة عند اليونان بمعنى علم الأساطير، الّذي يقابله المصطلح الأجنبيmythology أو مجموعة الأساطير المتّصلة بالآلهة و أنصاف الآلهة، والأبطال الخرافيين عند شعب ما.[2]

أما في قاموس مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر، فالأسطورة حكاية أو رواية شعبيّة أو إنسانيّة متّصلة بحياة إحدى الأمم تهدف إلى التّعبير عن بطولة أو قيمة ذات أثر هامّ في نفوس النّاس والأمّة.[3]

---

[1]- محمد عجينة، أساطير العرب (عن الجاهليّة ودلالتها)، دار الفارابي، ط1، بيروت لبنان، 1924، ص16.

[2]- ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشّعر العربيّ قبل الإسلام، سينا للنّشر، ط1، القاهرة، دت، ص28.

[3]- ينظر: سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربيّة، ط1، دم، 2001، ص90.

نفهم من خلال هذا التّعريف أنّ الأسطورة هي تلك الرّواية أو القصّة الّتي تركها الأوّلون، وهي الطّريقة الّتي عبّر بها الإنسان البدائيّ عن أفكاره و تصوّراته.

والأسطورة كلمة مشتقّة من لفظ "mythe"، والّتي تعني المنطوق، وقد صاحبت الكلمة معنى الجزء القوليّ المصاحب للشّعائر الدّينيّة، أو حركة الأديان البدائيّة الأولى.[1]

"mythe" تعدد أستعمالها أصبحت تعني الحكاية التي تختص بآلهة و أفعالهم و مغامراتهم فالأسطورة هي ذلك الدّين البدائيّ الّذي يسعى لتفسير الطبيعة و الكون و القوى الغيبية.

ولقد وردت في دائرة المعارف "للبستاني" أنّ "الخوري ميخائيل غبرائيل" هو أوّل من استعمل لفظة الأسطورة للتّعبير عن المضمون "mythologie"،« والّذي يعني الحكايات القديمة».[2]

وعلى هذا الأساس فالأسطورة تعتبر مظهرا من مظاهر الخوارق والعمود الأساسيّ للميثولوجيا، كما ذهب أحد المستشرقين إلى أنّ (الأسطورة) قريبة الصّلة بقريناتها في اليونانيّة و اللاّتينيّة(أسطوريّا) " historia" ، تدل على القصة أو الرواية أو التاريخ الذي كتبها الأولون من روايات و حكايات و هي في الأغلب أحداث خارقة للعادة و أباطيل.

والمقصود من هذا أنّها أخبار تؤثر عن الماضين لاسيما« أساطير الأوّلين» الّتي وردت في القرآن الكريم، فأساطير الأوّلين في نظر قريش هي ما نجده في القرآن الكريم من

---

[1]-ينظر: عزّت محمّد جاد، نظريّة المصطلح النّقدي، مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب، دط، مصر، 2002، ص406.

[2]-ميخائيل مسعود، الأساطير و المعتقدات العربيّة قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، (دم)، 1994، ص16.

قصص الأوّلين منها ما يسمى حديثا، ولقد اشتملت الأسطورة على عدّة معاني منها، نبأ، قصص، خبر.[1]

ويحدث أنّ الأسطورة ترتبط بالعلوم ارتباطا وثيقا، فقد « كانت الأسطورة في البدء منبع الإلهام الأدبيّ، وفي النّهاية دافعا إلى علوم حديثة كثيرة، كعلوم الأنثروبولوجيا، والإثنولوجيا، والسيكولوجيا »[2]

الأسطورة هي أم العلوم و منها تسربت ألوان الأدب حيث أصبحت تجري في فكر الإنسان ليخلق مختلف أشكال الأدب فالبشرية لم تعرف أقدم و لا أعرق من الأسطورة لتحكي أحلامها و امالها « ورغم أنّ كلمة أسطورة لدى المسلمين قد وردت كما سبق أن رأينا في سياق جدل، ومماحكات، واستوت أو كادت، وكلمة خرافة مقترنة هكذا بمعنى التخريف والباطل، وكان نعت، أي كلام بأنّه من الأساطير تهمة تلصق بخطاب الغير»[3]

نفهم من خلال هاذين التّعريفين أنّه لا يمكننا أن نستعمل الأسطورة بمعناها المستهجن الّذي مازال موازيا لها، وإنّما بمعنى آخر هو معناها المستحسن والنبيل كالخطاب المقدّس والحقيقة، أي بذلك المدلول الّذي كان ومازال متداولا عند الحديث عن أساطير مختلف الشّعوب المعبرة عن أفكارها وتصوّراتها الخياليّة.

---

[1]-ينظر: محمّد عجينة، موسوعة أساطير العرب(عن الجاهلية ودلالتها)، ص16، 17.

[2]-فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب(جذور التّفكير وأصالة الإبداع)، عالم المعرفة، (دط)، الكويت، 2002، ص20.

[3]- محمّد عجينة، موسوعة أساطير العرب(عن الجاهلية ودلالتها) ، ص20.

وهناك افتراض آخر هو أنّ الشّعراء استعملوا كلمة خرافة، ولكن الرّواة و العلماء المهتمين بجمع الشّعر الجاهليّ وتدوينه تجاوزوا الأشعار الّتي تتضمّن هذه الكلمة استحياء أو حرجا بعد استعمال القرآن الكريم لها.[1]

يتبيّن لنا بأنّ القرآن الكريم، هو أوّل من اقترن بالأساطير بعده تفنّن الشّعراء و العلماء في استعمالاتها.

فمثلا "مسز لانغر" تكتب« الأسطورة و الخرافة وحكايات الجان ليست أدبا في ذاتها، وليست فنّا على الإطلاق، بل هي أضغاث وعلى كلّ فهي في حدّ ذاتها مادة طبيعيّة للفنّ»[2]، من خلال هذا التّعريف نفهم بأنّه لا يمكن فهم الأسطورة بمعناها السّطحيّ دون الغوص في أعماقها.

وهناك الكثير من المفكّرين الّذين اهتموا بنشأة الأسطورة من أبرزهم" وديع بشور"، فالأسطورة حسب رأيه الخاص مقتبسة من كلمة يونانيّة تعني حكاية أو قصّة غير حقيقيّة، أو على عكس الحقيقة، ولقد تطرّق الفيلسوف "مرسيا إلياد" إلى مادة أسطورة بمعنى ميتوس"mythos" وتعني عند الإغريق حكاية و أسطورة تروي قصّة مقدسة وحادثا وقع في زمن البدء، فالأساطير عنده تنبعث من الحاجة الدينيّة[3]، فالأسطورة حسب رأي وديع بشور هي تلك القصّة المنافية للحقيقة، في حين يعتبرها "إلياد مرسيا" تاريخا مقدسا تخبر عن حدث وقع في الزمن الأول، زمن البدايات العجيب

---

[1]-ينظر: أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشّعر العربيّ قبل الإسلام، ص22.

[2]-محي الدّين صبحي، النّقد الأدبي الحديث بين الأسطورة والعلم، الدّار العربيّة للكتاب، دط، دم، 1988، ص102.

[3]_جوادي كاشا، نوادي الجمعيات الثقافيّة، النادي الأدبي للثقافة، منتديات تندوف.

وفي ساحة النّقد الحديث تدور الأسطورة حول حقل هام من المعاني، يشترك فيه كلّ من الدّيانة ، وعلم الإنسان والاجتماع والتّحليل النفسيّ و الفنون الجميلة، لكنّ المصطلح أصبح يحمل معنى سلبيّ ما بين القرنين السّابع عشر والثّامن عشر ميلادي، باعتباره تخيّلا، أي أنّها غير صحيحة علميّا أو فلسفيّا، لكن حديثا أصبح للأسطورة معنى آخر، ويظهر ذلك عند" فيكو كولدريج و أمرسون ونيشي"[1]

نفهم من هذا التّعريف أنّه لا يمكن اعتبار الأسطورة علم منفصل عن بقيّة العلوم حيث تشترك مع مجموعة من العلوم أساسها علم الاجتماع، و الإنسان وعلم النفس.

وتعرفها "نبيلة إبراهيم سالم" حيث تقول:« الأسطورة محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة، وهي لا تخلو من منطق معيّن وفلسفة أوليّة »[2]، فلطالما كانت الأسطورة تسعى إلى تفسير الكون و ظواهره باعتبارها بعيدة عن الواقع و المعقول.

فالأسطورة تشبه الفلسفة تطونت في أولى مراحلها عن طريق التأمل في ظواهر الكون المتعددة، والتأمل ينجم عنه التعجب، كما أنّ التعجب ينجم عنه التساؤل.

قلّما يتّفق باحثان أو أكثر حول مفهوم الأسطورة باعتبارها مفهوم غامض ومعقد، لذا تعددت حولها المفاهيم فمنهم من يراها حقيقة،ومنهم من يراها خرافة، ومنهم من لا يفرق بينها وبين التّاريخ، ومنهم من يعتقد أنّها مجرّد أكاذيب، فالأسطورة هي تلك المادة التراثيّة الّتي ارتبطت بماضي وبدائيّة الإنسان، حيث أيقظت في ذهنه تساؤلات عديدة، وبفضلها استطاع

[1]- ينظر: رينيه ويليك، أوستين وارين، نظريّة الأدب، تر:محي الدّين صبيح، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر،(دط)، بيروت 1987، ص189.

[2]- نبيلة إبراهيم، أشكال التّعبير في الأدب الشّعبي، دار النهضة، ط1، مصر القاهرة، ص9.

الإنسان أن يعبر عن ظروفه وأفكاره ومشاعره، ولقد وفّق في المزج بين الواقع و الخيال ليأسس ثقافة بدائية.

2- الإرهاصات الأولى لنشأة الأسطورة:

لقد وجدت الأسطورة للتّعبير عن الحياة البدائية للشعوب الشّعوب المختلفة، فالأسطورة عريقة عراقة البشريّة، حيث أصبح لكلّ شعب رصيده الخاص من الأساطير، ولعلّ نشأتها رافقت الإنسان البدائيّ منذ القدم، كونها جاءت للردّ على ما يكتنفه ويحتضنه من أسئلة لذلك تعجّب الإنسان ممّا يحيط به من ظواهر الكون وأسرار الطّبيعة، لذا كانت الأسطورة الملاذ و الملجأ الوحيد لتفسير كلّ ما يحيط به من أمور غامضة« ولعلّ نشأة الأسطورة قد رافقت الصّور الأولى في ذهن الإنسان المتفوّق على أقرانه و الأخيلة الّتي رسمها في عقله، وأطلقها، وأقنع نفسها بها في مراحل حياته، وكلّما تقدّم في تصوراته، كان ينمي تلك الصّور والأخيلة لتتوافق وحضارته، وتراثه وطبيعة أرضه، وما يحيط به من أمور مخيفة مرعبة أو مريحة نافعة»[1]، فالأسطورة هي بمثابة إخراج لدوافع داخلية في شكل موضوعي و الغر ض من ذلك حماية الإنسان من دوافع الخوف و القلق الداخلي فالإنسان مثلا يخشى الظلام و يحب ضوء الشمس الساطع و لذلك فهو يقدس الشمس و يعدها آلهة خيرة في حين أنه يعد الظلام كائنا شريرا و لهذا فالأسطورة يحتم على الشمس أن تتصارع مع الكائن الشرير من أجل حماية الإنسان.

[1]-ميخائيل مسعود، الأساطير و المعتقدات العربيّة قبل الإسلام، ص25.

وقد تألّفت الأساطير قديما من قصص الأرباب القادرين أو المنهزمين أمام أرباب آخرين، لأنّهم أكثر عزيمة وقوّة، ممّا يدفعهم إلى نشر الهلع و الرّعب في نفسيّة الإنسان، كما يسعون إلى تخليصه من ذلك الرّعب الّذي استهواه خلال فترة زمنيّة معينة.[1]

ولقد اختلفت الآراء وتضاربت فيما بينها، وكثر النّقاش والجدل فيما يخصّ نشأة الأسطورة وطبيعتها ومدلولاتها في ساحة النّقد الأدبيّ، فلا يمكن أن نتجاهل أنّ ما يرعب الإنسان ويشلّ تفكيره ويحمله على الانتقاد، هو دائما فوق قدرته وخارج نطاق سيطرته، ومن كلّ هذا تألّفت الأساطير، فهناك من ينظر إليها كأنّها روايات خرافيّة، والبعض الآخر يرى أنّها تمثّل واحدة من أعمق منجزات الرّوح الإنسانيّة وآخرون يرون أنّها ذخائر من طابع بدائيّ تكشف و تنير العقل الباطن للجماعة.[2]

وممّا يلاحظ ويحمل الحيرة في نفس الإنسان هو تناقض الأساطير ودلالتها عند الشّعوب، ممّا يجعلها أكثر عمقا وانغلاقا، وبذلك تغدو لغزا من الألغاز الّذي يصعب الوصول إليه.

لذا نجد « الأسطورة ترتبط ارتباطا وثيقا بمصير الإنسان، وتفسير الكون، وأصول العقائد، وأسماء الأماكن المقدّسة و الأفراد البارزين، وهي ابتداع الحكايات الدّينيّة، والقوميّة، تبدأ بفكرة أوليّة، ثمّ تنمو مع الزّمن بإضافات غنيّة بالأحداث والأخيلة و التّعقيدات»[3]، فلطالما ارتبطت الأسطورة بمصير الإنسان ورافقت ظهوره من القدم، حيث نمت وتطوّرت بالتّدريج من فكرة إلى أخرى فالأسطورة حسب المجتمعات القديمة تمثّل التّاريخ والدّين والمعرفة

---

[1]- ينظر: ميخائيل مسعود، الأساطير و المعتقدات العربيّة قبل الإسلام،، ص.25

[2]- المرجع نفسه، ص.26

[3]- ينظر: المرجع نفسه ، ص.26

والأخلاق، وبذلك تعدّ من التّاريخ لأنّها تحكي قصص الكائنات، فإذا ما ذهبنا إلى الأخلاق نجدها أطرا أعلى للسّلوك، وإذا ما عدنا إلى الدّين تعتبر جزءا من المناسك والشّعائر الّتي تضمن استمرار المجتمعات.

ولقد ربط بعضهم الأسطورة بالطّقوس والسحر، وهذه الأخيرة أسبق منها في الظّهور باعتبارها الجزء القوليّ المصاحب للطّقوس و الشّعائر البدائيّة.[1]

ومنه نخلص بأنّ الأسطورة ظهرت بعد الطّقوس، لأنّها تمثّل قوّة فاعلة فوق قوّة الطّبيعة، وما يصاحب ذلك أنّ نشأة الأسطورة كانت مرتبطة بالإنسان وما يدور في ذهنه من تصوّرات و أوهام وكلّ ما يجول في مخيّلته.

ومع كلّ هذا لا يمكننا إنكار أنّ الأسطورة ولدت بسيطة، ومع الوقت نمت وتطوّرت بالتّدريج، ولقد أجمع الدّارسون و المؤرخون بأنّ نشأتها تعود إلى حقبة التّاريخ الإنسانيّ قبل معرفة الكتابة، وقد تمكنت الحملات الغربيّة في العصر الحديث من خلال حملة التنقيب عن الآثار إلى معرفة مجموعة من البلدان مع نهاية القرن التّاسع عشر، حيث تمّ العثور على ألواح طينيّة وجدران ومعابد دونت عليها رموز وإشارات مختلفة، عرفت تلك المدونات بالأساطير[2]

وهناك الكثير من الآراء الّتي تحدّثت عن كيفيّة ولادة ونشأة الأسطورة، فالبعض ربطها بالطّقوس والعادات القبليّة، والبعض الآخر ربطها بالأحلام ومنطقة اللاّشعور الفرديّ و الجماعيّ، وهذا ما نجده عند الفيلسوف النّفسيّ "فرويد" وتلميذه "يونغ"، حيث يقول "فرويد" في كتابه (تفسير الأحلام):« إنّ الأسطورة وليدة المشاعر المكبوتة الّتي يحتفظ بها الإنسان في

[1]- ينظر: ميخائيل مسعود، الأساطير و المعتقدات العربيّة قبل الإسلام،، ص.25

[2]-جوادي كاشا، نوادي الجمعيات الثقافيّة، النادي الأدبي للثقافة، منتديات تندوف.

منطقة اللاّشعور، ولذلك لا ترتبط بمكان معين ولا بزمان معيّن»[1]، فالأساطير عند "فرويد" تنازعها رغبتين، تتحكم فيهما أوديبيّته، وهتان النّزعتان تتمثّلان في رغبة قتل الأب من جهة، والزّواج من الأم من جهة أخرى.

فلا يجوز ربط الأسطورة بعقليّة ثابتة، فالأساطير تنتقل من شعب لآخر، أمّا تلميذه "يونغ" أرجع الأسطورة إلى اللاّشعور الجمعيّ على غرار معلّمه، وإلى الشّعور الخاص بالمجموعة وليس بالفرد الواحد، حيث أولى الأسطورة عناية فائقة، وذلك من خلال تعمقه في دراستها، عن مذهب أستاذه "فرويد" فقد نظر« إلى الرّموز لا بصفتها تعويضا عن رغبات شبقيّة لم يتم إشباعها، ولا تعبيرا عن مكنونات مكبوتة في اللاّوعي الفرديّ ممّا يجعلها مجموع علامات أو دلائل أو أعراض مرضيّة، إنّما بصفتها صورا ورموزا جماعيّة "تتجسّد" من خلالها النّماذج الأصليّة الّتي يوفرها اللاّوعيّ الجماعيّ وتبدوا في بعض الأحلام والمبدعات الفنيّة، وفي الأساطير لإقامة التّوازن بين مختلف عوالم النّفس» [2].

في حين ربطها البعض بمحاولات الإنسان البدائيّ لاستكشاف أسرار الكون و التّطلع عليها مثل"جيمس فريزر" في كتابه(الغصن الذّهبيّ) بين الأسطورة والطّقوس في قوله:« بعد ممارسة أيّ طقس لزمن طويل لا يعرف النّاس، لماذا كان هذا الطّقس فتأتي الأسطورة لتجيب عن أسئلتهم»[3]، عندما تكثر الطّقوس وتختلط على النّاس لا يعرف الناس أصل هذه الطّقوس، وبذلك يلجأون إلى الأسطورة لتجيب عن تساؤلاتهم.

---

[1]-حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي، مدارس النقد والتشكيك والرّدّ عليها، مكتبة الكتب المسيحيّة.

[2]- محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالتها، ص52.

[3]- حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي، مدارس النقد والشكيك والرّدّ عليها، مكتبة الكتب المسيحيّة.

ولقد أجمع الدّارسون على أن الأسطورة« أوّل ما نشأت للردّ على أسئلة الإنسان القديم، الّذي تعجّب مما يحيط به من ظواهر الكون و أسرار الطّبيعة»[1]، فالإنسان البدائيّ لجأ إلى الأسطورة من أجل فهم سر الكون، وما يحتويه من خفايا.

3- اتجاهات دراسة الأسطورة:

لقد شهدت الأسطورة على تباينها وتنوّعها، قبلة للأدباء والشّعراء والباحثين، ممّا جعلها عالما يكتنه التّراث الأدبيّ ويزخر بالرّموز، فكانت شرارة تنطلق لتصنع مدارس تهتم بها وحدها ولا شيء غيرها، ومن هذه المدارس نجد:

3-1- المدرسة التّاريخيّة:

هي تلك المدرسة الّتي ترى بأنّ الأساطير وصلت إلينا عبر تاريخ البشريّة الأولى، حيث أعطى الخيال الإنسانيّ بعد آخر تمثّل في ذكر تاريخ الآلهة، وهو ذلك التّاريخ الّذي يعرف بعصر الأبطال و الخوارق، حيث كان الإنسان معجب بالقوّة والجّبروت، وبتطوّر هذا الإعجاب إلى نزعة من التّقديس، تتلاشى معها الحدود الفاصلة بين حقائق الواقع الإنسانيّ وخفايا الوجود الغيبيّ، حيث تصل إلى حدّ عبادة الآباء، ثمّ تصل إلى تناسي هذه الأبوّة، ودخولها إلى مرحلة التّأليه، وفسّر هذا بالتّاريخ المحليّ للشّعوب، ومن أبرز أصحاب هذا التّوجه "شلنج" و"مالينوفيسكي"[2]

[1]-ميخائيل مسعود، الأساطير و المعتقدات العربيّة قبل الإسلام، ص25.

[2]-ينظر، أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشّعر العربيّ قبل الإسلام، ص38.

3-2- المدرسة الأنثروبولوجيّة (التطورية):

مؤسّسها "إدوارد تايلور"، تعتقد هذه المدرسة بأن الإنسانية مرت معرفيا بثلاث أطوار متتابعة هي طور السحر، طور الدين ثم طور العلم، و بناءا على ذلك تكون الأساطير تابعة لعصور ما قبل التاريخ و لمرحلة طفولتها الفكرية وليفي ستراوس أنتقد فكرة أن العقل البشري واحد عند بدائي و عند المتحضر و أن الفرق بينهما لا يكمن في طريقة التفكير و إنما في موضوع التفكير.[1]

3-3- المدرسة التّعبيريّة:

ترى هذه المدرسة أنّ أبسط تعبير عن نظام الكلمات وعن المبادئ الأساسيّة للنّظام الأخلاقيّ يعود إلى اصطلاحات تجريدية حيث أنكرت أنّ النشأة تعود إلى الظّواهر الكونيّة، لأنّ الإنسان البدائيّ برأيها لا يمكن أن ينشغل بالكون ونظامه إلى حدّ التّعجب، بل يجب عليه في هذه الحياة أن إستخدام لغة واصطلاحا للتّجربة، هذا ما ذهب إليه "لورد راجلان" بقول "ماكس مولر"، « أنّ الأسطورة نشأت نتيجة قصور أو عيب في اللّغة، ممّا أدى إلى أن تكون للشّيء الواحد أسماء متعدّدة، كما أنّ الاسم الواحد كثيرا ما يطلق على أشياء مختلفة، وكان من نتيجة ذلك أن خلط النّاس بين الأسماء، ومالوا إلى الاعتقاد بأنّ الآلهة المتعدّدة ليست إلا تصورات مختلفة لإله واحد، و جنحوا كذلك إلى تصور الإله الواحد على هيأت متعددة» [2]

[1]- ينظر: سيد محمود القمني، الأسطورة والتّراث، المركز الرّسمي لبحوث الحضارة، ط3، القاهرة، 1999، ص26.

[2]- أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشّعر العربي قبل الإسلام، ص39.

3-4- المدرسة الطبيعيّة:

إنّ منشأ هذه الأساطير بطبيعة الحال يعود إلى المنشأ الطبيعيّ، والّذي يتّصل بما يحيط هذا الكون من ظواهر طبيعيّة وغيرها مثل المطر، الرعد، الريح...إلخ.

وقد ربط الإنسان القديم كل هذه الظّواهر بقوى غيبية بعيدة تسيطر عليها و تتحكم فيها و تتصارع فيما بينها و ينتهي هذا الصراع بنوع من التوازن بين الخير و الشرّ.

و قد ذهب الإنسان القديم إلى أن وجود هذه الظواهر ليس عبثا، فهو مرتبط بأهداف وحقائق نفعيّة تفيد المجتمع، ومن بين المؤيّدين لهذا الرأي "جيمس فريزر" و"أندرو لانج" ولورنس جوم وغيرهم[1]

3-5- المدرسة النّفسيّة :

تذهب مدرسة التّحليل النّفسيّ إلى إرجاع الأسطورة إلى الحلم كونها صنف من أصنافه، وباعتبار أنّها أعراض تدلّ على وجود حقائق أخرى، وهذا راجع إلى وجود ظواهر نفسيّة لاشعوريّة تتحكّم في مسيرة الفرد وسلوكه الاجتماعي، وهذا ما سماه "فرويد" بـــ"عقدة أوديب" حيث يرى بأنّ الأسطورة موازية للحلم، في حين يرى "إيريك فروم" أنّ العقل في حالة الحلم إنّما يعمل ويفكّر ولكن بطريقة أخرى وهي لغة الرّمز و ما علينا إلا أن نفهم مفردات تلك اللغة لينفتح أمامنا عالم مملوء بمعاني غنية و ثرية.

[1] - أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشّعر العربي قبل الإسلام، ص39.

إذ تعتبر المدرسة النّفسيّة من أبرز المدارس الّتي فسّرت بواعث الأسطورة، وقد لخصها "توماس يوليفينش" في أربع نظريّات هي دينيّة، وتاريخيّة و مجازيّة، وطبيعيّة.[1]

وقد أجمع الدّارسون على أنّ الأسطورة تعود إلى محاولة الإنسان القديم للردّ على الأسئلة المتعلقة بما هو قديم، تلك الأسئلة الّتي أثارت نوعا من الغموض، لذا أصبح الإنسان يتعجّب لما يحيط به من مظاهر الكون والطّبيعة، ومن خلال ما تطرّق إليه الباحثون و الدارسون، يمكننا القول بأنّ نشأة الأسطورة ارتبطت بالإنسان البدائيّ وما يعود في ذهنه من تخيّلات وتصوّرات.

كما أنّ "عز الدين إسماعيل" تكلّم أيضا عن الأسطورة، ويقول أنّها ليست مجرد نتاج بدائي، وأنّ معانيها دائمة التجدد، وقد اختلقها الإنسان ليتعامل مع مظاهر الطبيعة كما أن الأسطورة موجودة لتنير العقل الباطنيّ للإنسان ولها علاقة بمظاهر الطبيعة[2] وهي عامل جوهريّ في حياة الإنسان في مختلف العصور.

وفي إطار الحضارة الصناعية حاولت العديد من الدّراسات تحديد أصل الكلمة، فوجدوا أن من سماتها الغموض، وذلك عائد إلى أصل الكلمة mythos.

ومن خلال هذا الطّرح الّذي تطرقنا إليه، يظهر لنا بأنّ الباحث أحمد إسماعيل تطرّق إلى عرض أبرز القضايا والدّراسات من أجل الكشف عن أصل الأساطير، فمن خلال هذه المدارس يثبت لنا بأنّ أحمد إسماعيل قد سعى إلى الخوض في هذه الدّراسة وتوسّع فيها حيث استطاع أن يلمّ ببعض أصول هذه الظاهرة الأسطوريّة.

---

[1]-ينظر: أحمد إسماعيل نعيمي، الأسطورة في الشّعر العربيّ قبل الإسلام ، ص27.

[2]-ينظر: صمويل نوح كريمر، أساطير العالم القديم، تر:أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصريّة،(دط)، مصر، 1974، ص11.

ومن خلال ما قلناه نصل إلى أنّ العلماء و الأدباء لم يتّفقوا حول أسباب و دواعي نشأة الأسطورة، فكلّ يفسّر طبيعتها حسب رأيه الخاص، فمنهم من ربط الأسطورة ببداية الحياة على سطح الأرض، بمعنى مرافقة الإنسان البدائيّ، وهذا ما دلّ على بدائيّتها، عندما كان البشر يمارسون السّحر ويؤدون طقوسهم الدينيّة من أجل تفسير الظّواهر الطبيعيّة، ومنهم من يرى أنّ الأساطير نشأت نتيجة عواطف الجماعات مثل: الكهنة وهناك من يرى أنّها إبداع من طرف جماعة.

4- أنواع الأساطير:

لكي ندرك كيف تختلف الأساطير وتتنوّع بعضها عن بعض، وإلى أيّ حدّ تختلف، وما إذا كانت اختلافاتها تتناقض، أو تتلاقى بشكل عامّ علينا أوّلا أن نسعى إلى تصنيفها، وهنا لابدّ من أخذ ثقافات الشّعوب بعين الإعتبار، حيث نجد أنفسنا أمام حيّز من المجتمعات، بعضها بعيد عن بعض، وبعضها قريب من بعض، كما لا بدّ من تتبّع أشكال الحياة الاجتماعيّة الّتي تنوعت عبر الأزمان.

لقد تنوعت الأساطير واختلفت عند الأدباء والعلماء، وذلك نظرا لصعوبة تحديد أصلها، باعتبارها تتميّز بالغموض ، فهناك من قسّمها إلى أربعة أساطير، وهناك من قسمها إلى خمسة أساطير وهي كالتّالي:

4-1- الأسطورة الطقوسيّة : اعتبرها البعض بأنّها الجانب الكلاميّ لطقوس الأفعال الّتي من شأنها أن تحفظ السّلام، والرّخاء، والطمأنينة للمجتمعات[1]

[1]-ينظر:ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربيّة قبل الإسلام، ص28.

إذا كانت الطقوس تختص بالأفعال التي من شأنها أن تحفظ للمجتمع رخاءه ضد القوى المتعددة التي تحيط بالإنسان فإن الأسطور الطقوسية تمثل الجاني الكلامي لهذه الطقوس و لم تكن الأسطورة تحكى من أجل التسلية و لكنها كانت أقوالا تمتلك قوى سحرية مثل أسطورة إيزيس و أوزوريس المصرية

أدونيس و عشتروت هاجم أدونيس (ثور وحش) فأصابه بجروح أدت إلى موته.

4-2-أسطورة التكوين:

نقصد بها« عملية خلق الكون وطريقة صنعه، وتكوينه بصورة تدريجيّة» [1]، حيث تختلف بداية تفسير الكون من وجهة المنظور التاريخيّ، ولقد تمّ التنازع بين حقلين، حقل يقبل السؤال، وحقل يعتبر مجالا للوهم، بحيث وضع ذلك في محاولة الكشف عن أجوبة الإنسان حول التّكوين والنشأة، ممّا أيقظ عدّة تساؤلات واستفسارات حول سر الكون وأصل هذه الحياة، ولقد تداخلت بعض العلوم الفيزيائيّة و الفلسفيّة في محاولة الكشف عن هذه الظّواهر التكوينيّة، حيث اعتمدوا في ذلك على التّعليل، بجعلها تنتسب إلى قوى غير ظاهرة، مثل أصل الماء و النّار وغيرها من الظّواهر التكوينيّة الّتي أدهشت الإنسان ودفعته إلى التساؤل.[2]

4-3 الأسطورة التّعليليّة:

والّتي عن طريقها قام الإنسان البدائيّ بتعليل ظاهرة ما، تستدعي وتتطلّب نظره اتّجاه هذه الظّاهرة، رغم أنّه لم يجد لها تفسيرا، وبواسطتها استطاع أن يخلق حكاية أسطوريّة تقوم

[1]-ينظر:ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربيّة قبل الإسلام، ص28.

[2]-ينظر: شعريّة الكنعنة(تجليات الأسطورة في شعر عزّ الدّين المناصرة)،دار مجدلاوي، ط1،(دم)، 2009، ص68،ص 69.

بشرح سر وجود هذه الظّاهرة، والكشف عن جوهرها الدّاخليّ[1]، فهي لم تجد منهجا أو سبيلا إلى الوجود إلاّ بعد ظهور كائنات روحيّة، تقابل ما هو موجود في الظّاهر، ولقد ساعد على ذلك طائفة من رجال الدّين، حيث استطاعت أن توهم الجماعة أنّها على تواصل دائم مع هذه الكائنات الرّوحيّة، ممّا استدعى إلى ظهور الرّغبة في المعرفة والسّر، ولقد كان من الضّروريّ لهذه الجماعة أن تفرّق بين الكائنات الرّوحيّة والطّبيعيّة[2]

فالأسطورة التعليلية هي محاولة الإنسان الأول إصطناع أسلوب منطقي في تفسير الأشياء في عصر غاب عنه عنصر الأسلوب العلمي لفهما مثل ظاهرة ظهور الشمس في النهار بدون نجوم و ظهور القمر في الليل و معه النجوم و هي ظاهرة فلكية فسرت فيما بعد على نحو علمي فالإنسان القديم لم يكن وصل بعد إلى مرحلة فكرية تتيح له فرصة إستخدام الوسائل العلمية للوصول إلى أصل الأشياء مثل توزيع الكائنات بين الأرض و البحر و الفضاء.

4-4- الأسطورة الرمزيّة:

هي ما تجاوزت مرحلة السّؤال و الجواب، وبالرّغم من كلّ هذا إلى أنّ أغلب أساطير الكون تنتمي إلى هذا النّوع، لاحتوائها على نوع خارق من خرافات الشّعوب الّتي تسعى إلى تسليط الضّوء على الرموز و المجازات و الأمثال الّتي يحتضنها نوع من الإبهام والغموض، مثل تلك الّتي تحتل جزءا من قصص الزنوج و الّتي تفسّر كناية ما، أو قولا شائعا، كما أنّها تعتمد على مجموعة من الرموز من أجل التفسير[3]

[1]- ينظر: ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربيّة قبل الإسلام، ص28.

[2]- ينظر:كمال أحمد زكي، الأساطير،(دط)،(دم)، (دس)، ص10،ص 11.

[3]-ينظر: كمال أحمد زكي، الأساطير ، ص11، 12

4-5- أسطورة البطل الإله:

يتميّز فيها البطل بأنّه مزيج من الإنسان والإله، ففي الأساطير المصريّة القديمة تظهر أسطورة البقرة السماوية و ملخصها«حين هرم إله الشّمس(رع) ملك البشر و الآلهة، عرف أنّ الإنسان يتآمر عليه، لكنّه أراد تخليصه من قصاص الآلهة(حتحور) على سبيل المثال، فأسكرها بالجعّة الحمراء، وسئم من بقائه بين النّاس وعلى الأرض، فامتطى ظهر البقرة(نوت) فنهضت به إلى العلاء فكانت السماء»[1]

4-6- الأسطورة التّاريخيّة:

قد تبدو هذه الأسطورة غريبة لاشتمالها على عنصر التّاريخ، لكننا لا نستطيع تجاهلها لاحتوائها على بعض الخوارق من جهة، ومن جهة ثانية كونها تجعل بطلها مزيجا من الإله والإنسان، وقد تكتفي لترفعه إلى درجة الأولياء حيث تسعى إلى تجسيد فكرة الخير والشّرّ، ويمكن أن نفرق بين نوعين من الأساطير.

_الأولى تعنى بأبطال دخلوا أساطير الرموز مثل" أوديب" و"سيزيف"

_والثّانية تعنى بأبطال دخلوا التّاريخ حقا لكنّ أعمالهم طمست مثل " سيف بن ذي يزن"، أو أنّ أعمالهم اختلطت بأعمال غيرهم، وتشمل الأساطير التّاريخيّة أيضا أساطير الرّحلة المليئة بالمخاطر في سبيل تولية العرش الملكيّ المقدّس.[2]

وبعد شيوع كلّ هذه الخلافات المتناقضة، تختلف أنواع الأساطير من زاوية نظر بعض النّقاد القدماء، الّذين واجهوا مشكلة التجاوب مع الأسطورة، كونها تتّسم بالغموض، إلاّ أنّ

[1]- ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات العربيّة قبل الإسلام، ص28، ص29.

[2]- ينظر: أحمد كمال زكي، الأساطير،ص12، ص13.

هناك من وقف حائلا دون ذلك، وغاص في جوف الأساطير بمختلف أقسامها، ولذلك يمكن القول أنّ النّاقد جعل الغوص صفة من صفات الأساطير، يبرز هذا في مرحلة التّعبير عن الإنسان البدائيّ، فهو لا يفسّر الأشياء تفسيرا منطقيّا يقبله العقل، لذا تبقى الأسطورة موضع خلاف بين النّقاد والدّارسين.

5- علاقة الأسطورة بالأدب:

لقد طرحت جدليّة العلاقة واللاّعلاقة بين الأسطورة و الأدب من طرف بعض النّقاد و الدّارسين، وفي هذا الصدد يمكننا القول أنّ الأسطورة طالما ارتبطت بالأدب بوجه عامّ وبالشّعر على نحو خاص، فهي من البواكير الأولى الّتي تتولّد في المخيّلة، لكونها مغامرة إبداعيّة للواقع المعرفيّ و التّطوّر الإدراكيّ للإنسان.

وفي هذا الصدد لسنا بعيدين عن تراث القصص أو الحكاية العربيّة الّتي كانت تصدر عن خيال أقرب للأسطورة، كما هو مدوّن في أشهر حكايات الأدب العربيّ القديم مثل(كليلة ودمنة) لـــ"ابن المقفع" و(رسالة الغفران)لـــ"أبي العلاء المعري" وغيرهما.

« فكان من إحدى عواقب التّطور الرّمزيّ في الأدب أنّه ازداد الاحترام لرمزيّة الإنسان البدائيّ، خاصة الأساطير والخرافات الّتي عبّر بها عن نفسه بصورة مميّزة، فإنّ العقل كما يحاج ، كان مرآة سلبيّة تكتفي بأن نعيد العالم البنّاء كما هو معكوس فيها، لكنّه قوّة فاعلة تؤثّر في الشّكل ذاته الّذي تتّخذه الحقيقة الواقعيّة كما ندركها، بعد ذلك لا تكون ترميزات الإنسان

البدائيّ طفوليّة وسخيفة بالضّرورة، وإنّما ذات أهميّة خاصة وربما صنعت مساهمة في الحقيقة» [1]

فلغة الأسطورة هي لغة ذات منطق خاصّ، حيث كانت لغة الإنسان البدائيّ هي اللّغة الوحيدة، وبتطوّر الإدراك عند الإنسان، زادت قوّتها الفاعليّة وطوّرت في التّجربة الإنسانيّة، وتعتبر الأسطورة جمعا بين طائفة من الرّموز المتجاورة ، فقد جاء الشّعراء بالأسطورة للتّعبير عن قيم إنسانيّة، لأسباب سياسيّة أو دينيّة أو فكريّة.

وبذلك تُتّخذُ الأسطورة رمزا يعبّر الإنسان من خلالها عمّا يريده من أفكار ومعتقدات، ومن ثمّ فهي ستار يختفي خلفه الشّاعر ليقول ما يريد.

في حين يرى "آنفين" أنّ الأسطورة« تلك الخاصيّة الّتي تعود إلى الشّعر حسب مأثورة"ولاس شيفن" ... إذ أنّها تنبع في تمنعها عن الإدراك، وهذا هو الّذي يجذب المصنفين الّذين يؤكدون أنّ ...الأسطورة ليست سوى علم بدائيّ أو تاريخ أوليٌّ أو تجسيد أخيلة لا واعية أو تفسير آخر بهذا المعنى»[2]، فعلم الأساطير له علاقة بتاريخ الحضارات الإنسانية، وذلك من خلال ما وصل إلينا من أساطير بعد تدوينها وتنوّعها على مرّ العصور بتجارب مختلف الشّعوب، الّتي وصلت إليها وتناقلتها مشافهة، وهذا ماله علاقة بالأدب الشفاهيّ، حيث كانت الشعائر والطّقوس سببا ودافعا أساسيّا في دوامها وبقائها، ممّا جعلها ثريّة لما كسبته من خبرات وتجارب فكانت أساطير مثقفة [3]

---

[1]-محي الدين صبحي، النقد الأدبيّ الحديث(بين الأسطورة والعلم)، ، ص91.

[2]-رافيين.ك، الأسطورة، تر: جعفر صادق الحقيقي، منشورات عويدات، بيروت، 1988، ص09_11.

[3]- ينظر: محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب(عن الجاهلية ودلالتها)، ص11.

كما أنّ "أسطورة" إذا أردنا المقابلة بينها وبين الأدب من حيث أنّها مقولة فكليهما يدخل ضمن سلسلة المبدعات الفنيّة الخياليّة لأنّهما يلتقيان في الأصل والمنشأ لاشتراكهما في جذور واحدة، كما أنّهما يلتقيان على صعيد آخر عندما توظّف الصّور والرّموز والنّماذج الأصليّة في الأمثال والقصص الرّمزيّة، كما نجدها في الخرافات على ألسنة الحيوان أو في الشّعر.[1]

وقد أضحت الأسطورة واحدة من أساسيات المتن السويّ لاسيما الشّعور بأنّها تعتمد قوّة الخيال أو المتخيل، وما يشير أنّها كانت المعين الأوّل للأدب في كلّ الأمم السّابقة، ولذا ترجع صلة الأسطورة بالأدب في اشتراكهما باللّغة، كما أنّهما يختلفان في الأبعاد التأصيليّة والبنيويّة والوظائفيّة لكن أسطورة /نصّ« انفتحت على غيرها من النّصوص وتداخلت معها وشكّلت بنيتها،واتسعت رؤيتها، ويكتفي الاشتراك في التّعبير اللّغويّ لكي يجد القارئ أو الباحث نفسه محورا لأسئلة العلاقة بين الأسطورة وغيرها من الآداب التعبيريّة، ورغم الاختلاف بينهما – انطلاقا من النشأة وصولا إلى الطابع القداميّ للأسطورة وجماعيتها، والطابع المتين للأدب وفرديّته، لعلّ فضاء الأسطورة يحمل أفقا أدبيّا فهي أسلوب لشرح معنى الحياة والوجود»[2]

فثمّة علاقة قويّة بين الأدب و الأسطورة وهناك من ينظر إلى الأسطورة بوصفها أدبا، بل تعبيرا أدبيّا عن أنشطة الإنسان القديم، فعدّها أسلوبا للكتابة التّاريخيّة تعينه على تسجيل أحداث يومه، فكانت الأسطورة وعاء وضع فيه خلاصة الفكر، ووسيلة عبّر بها عن هذا الفكر والأنشطة الإنسانيّة المختلفة، كما أنّ الأسطورة مثل الأدب، توفر صياغة من حيث الحبكة والشّخصيّة والموضوع والصّورة، وفي الشّعر الحديث والملحمة والمسرحيّة والرواية هناك

[1]- ينظر: محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب(عن الجاهلية ودلالتها)، ص14.

[2]-وليد بوعديلة، شعرية الكنعنة(تجليات الأسطورة في شعر عز الدّين مناصرة)، ص50.

إشارات مؤكدة على الاستفادة من الأسطورة يمثّل ما تأثر به الأدب الشّفاهي من حكايات شعبيّة وخرافيّة وبطوليّة وغيرها، التي مكنتنا من الكشف عن الاختلاف بين الأسطورة والأدب[1]، غير أنّ العديد من نقاد عصرنا قد تمسكوا بالعلاقة الرابطة بين الأسطورة والأدب.

ومن خلال هذه العلاقة نسعى إلى طرح التّساؤل من أجل الاستفسار، هل انقطعت الصّلة بين الأدب والأسطورة؟ أم مازالت هناك علاقة بينهما؟

وهذا من أجل السّعي وراء ادراك اختلاف الثّقافات الشّعبيّة بعضها عن بعض، وإلى أيّ حدّ تختلف، من أجل الإشارة وبشكل خاص إلى أنّه على المرء أن يتساءل عن طبيعة الّتي تتحكّم في الأدب والأسطورة.

[1]-ينظر: أحمد كمال زكي، الأساطير، ص11-12.

الفصل الثّاني: تجليات الأسطورة في رواية البئر

1_ أسطورة أكاكوس.

2- أسطورة السّدرة (الكبيرة).

3- أسطورة بئر أطلانتس .

4_ أسطورة أطلنتيدا.

5_ أسطورة تانس(سليلة القمر)

6- أسطورة الخسوف.

إنّ توليد الأسطورة وخلقها، وإعادة صياغتها عمليّة جماليّة تهدف إلى البحث عن عالم جميل ومضيء، لم تقضي عليه أفكار وتصورات سلطة المجتمع، لكنّ العصر الّذي ولّدها ويولّدها ليس عصرا منيرا فهي تخلق وتولد لتنير ظلامه، على المستوى التّخيلي والتّأملي.

1- أسطورة أكاكوس:

يعتبر الجبل من ضمن العناصر الّتي تلعب دورا هاما في أساطير الخلق والتّكوين، إذ أنّ جبل "أكاكوس " أسطورة رمزيّة استدلّ بها الروائيّ ليعبّر عن المأساة الّتي عاشتها فتاة أحبّت شابا، فألقت بنفسها من فوق قمّة جبل "أكاكوس" وتجسدت هذه الأسطورة داخل النّصّ التّالي:« عاشتها شابّة أحبّت شابا وتعاهدا على الزّواج بعد عودته من رحلة تجاريّة إلى النّيجر، ولكنّ الشّاب لم يعد فانتظرته ثلاثين عاما، وعندما يئست من عودته انتحرت بأن ألقت بنفسها من قمّة جبل "أكاكوس"»[1]

وهذا ما يدلّ عن المأساة الّتي ألحقتها الفتاة بنفسها ألا وهي الانتحار، وذلك لأنّها لم تجد وسيلة توصلها إلى الشّاب لكي يفي بوعده إلاّ الانتحار، وتجسّد ذلك في:« ويقول تجّار القوافل الّذين يمرّون بذلك الجبل في طريقهم إلى أواسط أفريقيا، يسمعونها دائما وهي تصرخ بأعلى صوتها منادية حبيبها الّذي لم يعد، تذكّره بأن يفي بوعده ويعود إليها، ولكنّ الشّاب لم يف بوعده لأنّ قطّاع الطّرق قتلوه»[2]، لكنّ الرّوائيّ يرى بأنّ غرض الأسطورة هو إبراز الجوانب الأساسية في العلاقات بين المحبين، ومن هنا نتبيّن بأنّ الجبل أصبح مكانا يقصده العشاق إذا ما ضاقت بهم السّبل، فرموا بأنفسهم من فوق قمّته، وبالتّالي فهو رمز رغم مأساويّة الحدث الّذي يشهده، إلاّ أنّه يعبّر عن الوفاء وقدسيّة المكان وخصوصيّته.

---

[1]- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص18.

[2]- المصدر نفسه، ص18.

2_ السّدرة الكبيرة:

السّدرة هي شجرة مباركة تتميّز بلونها الجميل ورائحتها العذبة، ولقد كانت في القديم صالحة لعلاج بعض الأمراض أي يستطبّ بها، ولقد عرفوها بأنّها شجرة عظيمة خضراء« حيث كانت العرب أيّام الجاهليّة تعتبرها ضمن معبوداتهم، هذا ما يذكرنا به اسمها المبدوء بذات مثل ذات حمين»[1]

إذ تعتبر السّدرة مظلّة للنّاس تقيهم الحرّ وقيظ النّهار، وتجسّد ذلك من خلال هذا السّند« أمسك بيدها وأجلسها تحت السّدرة الضّخمة الّتي شكّلت أغصانها الكثيفة مظلّة كبيرة، كأنّها صنعت خصيصا لكي يستجير بها الرّعاة وعابروا السّبيل من قيظ النّهار أيام الصّيف»[2]، ولقد كانت السّدرة الكبيرة رمزا للحبّ بين أمستان و تارات حيث كانا يلتقيان عندها، ومع مرور الوقت أصبحت مكانا للخلد العاطفيّ في كون الفتاة انتحرت في نفس المكان، وبالتّالي تعتبر خير وداع لخير عشيق ويظهر ذلك في« فإنّ الفتاة نفسها قد انتحرت تحت السّدرة الكبيرة حيث كانا يلتقيان» [3]، وهذا ما يعكس العمل الرّوائيّ والتّراث الأسطوريّ إذ تضفي السّدرة مأساة تعكس من خلالها صراعات الإنسان بعالمه وما يحتويه من شحنات عاطفيّة، وهذا ما يعكس أيضا العمل الرّوائيّ و التّراث الأسطوريّ، فالسّدرة هي رمز الغزل والشّوق وهواية المحبّة بين تارات و أمستان، وهذا ما رمز إلى الحبّ الصافي المعارض للتّقاليد والعادات، كما أنّ السّدرة تتّسم بالديمومة إذا قسناها بحياة الإنسان العابرة الّتي تمثّل طائفة رمزيّة قويّة.

[1]-محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب (عن الجاهليّة ودلالتها)، ص274.

[2]-إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص18.

[3]-المصدر نفسه، ص25.

أمّا الكونيّ بتوظيفه لهذه الأسطورة يكون قد أضفى على السّدرة معنى جديد يوحي به إلى دلالة العجز والضّعف، فالسّدرة في هذه الأسطورة هي رمز لتلك الفتاة العاشقة الأبديّة الّتي أحبّت شابا وانتحرت من أجله تحتها.

3_ بئر أطلانتس:

تعددت دلالات الماء فا لطالما كان البئر يرمز إلى المكان الذي تجمع فيه المياه، مهما كانت صفته باعتباره يرمز بأشياء عديدة، كالظّلام، والعمق، والعتمة، نجد في قصّة سيدنا يوسف–عليه السّلام– دليلا على عمق البئر وصعوبة الخروج منه، والدّليل على ذلك لمّا رمى به إخوته ولم يجد ملجأ للخروج منه وهذه القصّة القرآنيّة إن دلّت على شيء فإنّها تدلّ على الأبعاد المختلفة، مثل قداسة البئر.

ولقد ركّز الرّوائيّ على هذه الأسطورة، ويظهر هذا الارتكاز في دلالة العنوان، ومن ناحية الأسطورة فقد تجسدت أسطورة البئر أو بئر "أطلانتس" في كونه يحمل عدّة حمولات أو شحنات فكريّة وعقائديّة و روحيّة تشي كلّها بالأحداث الّتي يحملها البئر، إذ يعتبر الجبل مركز وجود البئر، في حين يحيط به كلّ من المقبرة الجديدة والقديمة، لكن هذا البئر لا يعرف أحد سرّ وجوده أو اختفائه« وتحت الجبل على مسافة مائة خطوة من تجمع البيوت، يقع بئر "أطلانتس" العريق الّذي لا يعرف له أحد تاريخا، وعلى بعد أربعمائة خطوة أخرى تقوم المقبرة الجديدة، تليها المقابر القديمة بمسافة ثلاثمائة خطوة أخرى»[1]، وعلى غرار هذا القول تؤكّد بعض الأساطير وتركّز بشكل كبير على أنّ البئر هو أصل الكون في الصّحراء الكبرى، ولولا وجوده لانعدمت الحياة فوق سطح الأرض فوجوده أساسيّ ومهم في الحياة البشريّة« يؤكّد سكان الصّحراء أنّ حفر البئر كان بداية

[1]– إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص54.

الحياة في الصّحراء الكبرى كلّها، وموقعه اختير بحيث يكون مركز الصّحراء الكبرى بل وتؤكّد بعض أساطير أنّه مركز الدّنيا وأصل الكون ومصدر الحياة في الزّمان القديم [1]، وهذه الأسطورة تدلّ على أنّ البئر هو منبع الأمل وشعاع الحياة في الصّحراء الكبرى، ولولاه لاندثرت معها الحياة في الصّحراء واندثر معها كلّ ما تزخر بها من خيرات، فالبئر هو رمز النّشوة و السّعادة و به تتجدّد الحياة باعتباره رمزا طبيعيّا يوحي إلى قدرة العيش والبقاء.

ثمّ يأتي التّفسير الحقيقيّ لبئر أطلانتس وعلاقته بالصّحراء الكبرى« وتتحدّث أساطير أخرى عن مزاجه الغامض فتقول أنّه يفيض أحيانا وتتدفّق مياهه صانعة أنهارا و أودية طافحة بالماء تغمر صحارى الرّمال العطشى، وتتضاءل مياهه حتى تنضب تماما أحيانا أخرى» [2]

ومن هنا يكشف لنا البئر عن حالته اللاّمستقرة وغير المتباينة حيث تنضب مياهه وتتضاءل من حين إلى آخر، ممّا يجعل سكان الصّحراء في حالة من السّكون والاستغراب من مفاجآته اللاّمتناهية.

أمّا بعض الأساطير ترمز إلى البئر بمعنى مغاير في كونه يمزج بين ازدواجيّة الحرمان والعطش، ممّا دفعه لنشر الخوف في نفوس السّكان، فهو بالنّسبة لهم مركّزا للخضوع و الاستسلام، حيث أصبحوا يهاجرون من واحة إلى أخرى خوفا من الظّمأ و العطش« وتؤكّد أساطير أخرى أنّه ينضب كلّ ثلاث قرون ويستمر على هذا الحال أعواما كاملة مما يضطر سكان الصّحراء للهجرة إلى كلّ الجهات، هربا من العطش وخوفا من الانقراض» [3]

فالبئر كما تؤكّد لنا الأسطورة يحمل في جوفه أسرارا غامضة لا يستطيع أحد التّوصّل إليها ومعرفتها، حيث يتكوّن من معادلتين، رمز للقوّة حين يفيض ورمز الضّعف حين ينضب، ومن

---

[1]- إبراهيم الكوني، الخسوف (البئر)، ص45.

[2]-المصدر نفسه، ص 45

[3]-المصدر نفسه، ص45،ص46.

خلال ما تؤكده الأساطير أصبح بئر أطلانتس رمز للكآبة واليأس، ورمز لنهاية وبداية الكون، فإذا ما نضبت مياهه هجره السّكان، وإذا ما فاضت مياهه أصبح ملجأ لسكّان الصّحراء،« وبقي "بئر أطلانتس" رمزا بائسا لهذه الحضارة الخرافيّة الّتي لمعت فجأة وانطفأت فجأة»[1]، وعلى الرّغم من كلّ هذا لم يجد سكان الصّحراء تفسيرا لاختفاء المياه وانخفاضها « يقولون أنّ مستوى الماء قد انخفض في البئر»[2]، أصبح الكلّ يفسّر اختفاء المياه من البئر حسب رأيه الخاص، في حين أرجع البعض سبب نضوب المياه بحركة الخسوف وعدد المرات الّتي تحتويها« أتذكر الخسوف الأخير؟ ربما أكمل العدد اللاّزم فبدأت المياه تتراجع في بئرنا»[3]، في حين أنّ بعض القصص تؤكّد أنّ السّبب الرئيسيّ لاختفاء الماء هو الخسوف، وتجسد ذلك في هذا السند« ويؤكد البعض في قصصهم أنّ اختفاء المياه في البئر علاقة مباشرة بعدد المرات الّتي يحدث فيها خسوف القمر في العام الواحد» [4] فبئر أطلانتس ظلّ تحت حكم القمر واستسلم له فترات طويلة احتوت نضوبا شاملا ممّا زاد في هلاك السّكان ودمارهم، ولقد برع"ابراهيم الكوني" في تجسيد وتشخيص الأسطورة ويظهر ذلك في عمله المتماسك في ذكر أسطورة البئر وتجديده لها، ولقد وظّف "الكوني" هذه الأسطورة ليضفي على نفسه نوعا من الغموض لكي يجذب انتباه القارئ من أجل التّمعن والغوص في أفكاره المطروحة، وبذلك يحافظ على التّراث الأسطوريّ، وقد وظّف أسطورة البئر لأنّه لم يجد بديلا حتّى يعبّر عن هذه الظّاهرة باعتبارها تعكس حداثة هذه الرّواية،فما كان أسطوريّ ليوم كان حقيقيّ البارحة، حيث أصبح القدر الشّغل الشّاغل الّذي يشغل أهل الصّحراء عبر العصور عن سبب

[1]- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص56.

[2]- المصدر نفسه، ص 191.

[3]- المصدر نفسه، ص193.

[4]- المصدر نفسه، ص56.

نضوب بئر أطلانتس، فما علاقة نضوبه بالقمر وخسوفه؟ حيث تبقى أسطورة البئر متعارضة مع أهل الصّحراء، لأنّ البئر يمثّل لهم كلّ شيء فهو أصل الكون ونهايته.

4-أسطورة تانس "سليلة القمر":

-تعتبر تانس من أهم الشّخصيّات الأسطوريّة المتكرّرة بكثرة داخل المتن الرّوائي لتميّزها بالجمال الفتّان و الأخّاذ، الّذي لا يملكه أحد، فجمالها كان يضاهي جمال القمر، فنظرة منها تجعل دقّات القلوب تتسارع وتمثل ذلك في « يا تانس! اكشفي عن وجهك وأضيئي لنا اللّيل البهيم. إنّنا نريد أن نحلب النّوق على ضوء وجهك الّذي ينافس البدر!» [1] ، وهذا الجمال أثار زوجة الأمير حيث قرّرت أن تنتقم من تانس، وكلّ هذا بسبب الغيرة الّتي دفعتها لهذا الفعل المشين، وتمثل ذلك في« هجمت عليها مع أعوانها في إحدى الأمسيات وهي عائدة من حصاد الزّرع، وأوثقتها بالحبال وشدّت شعر رأسها إلى صخرة هائلة، ألقت بها في واد سحيق، وعادت إلى البيت وجلست مكان تانس، بعد أن لبست ملابسها والتحفت بلحافها» [2]

وبهذه المكيدة الخبيثة استطاعت الزوجة الأولى أن تفلح في الانتقام من "تانس"، بعد أن ألقت بها في واد كبير لا يسمع منه صوت، ولا يدركه أحد من النّاس، ولم يتفطّن أحد لهذه المصيبة، ومع إقبال اللّيل طلب النّاس من تانس أن تضيء لهم اللّيل من أجل أن يحلبوا النّوق، لكنّ ضرّتها الخبيثة رفضت ذلك نيابة عن تانس، لكي لا يدرك أحد بأنّها بديل تانس. وتجلى ذلك من خلال «لكنّ المرأة الخبيثة رفضت أن تكشف عن وجهها لأنّها تعرف أنّها لا تستطيع أن تضيء به ليل الصّحراء مثل تانس»[3].

---

[1]- ابراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص51.

[2]- المصدر نفسه، ص.51.

[3]- المصدر نفسه، ص51.

لكن سكان الصّحراء استغربوا لأمرها، وعلى الرّغم من ذلك استطاع "أطلانتس" أن يكشف أمرها بعد أن جلس بجوارها، وذلك لأنّها قامت بوخز عجيزته، بواسطة إبرة حادّة ممّا دفعه للاندهاش و الاستغراب وذلك لأنّه لم يتعوّد من "تانس" ذلك أبدا مهما كان الأمر، ويظهر ذلك فـــي« جلس بجوارها أطلانتس وكما تعوّد أن يفعل في الأمسيات فشرعت تقرصه و توخز عجيزته بإبرة حادّة فدهش واحتجّ وأعلن للنّاس أنّ هذه المرأة ليست تانس»[1]،عندما أخبر "أطلانتس" الجميع بأنّها ليست شقيقته "تانس"، لكن الجميع لم يصدّقه بعدما قررت المرأة الخبيثة الانتقام من "أطلانتس" التّخلص منه خوفا من يفشي أمرها ويكشف سرّ وجهها المستعار، حينها قررّت التّخلص منه ممّا لفت استغراب النّاس، وهذا ما دفع الأمير إلى التّوسل من أجل أن ترحم زوجته "أطلانتس" مع أنّه لم يكن يعلم بأنّها ليست تانس، ويظهر ذلك في« اعقلي يا تانس، لا يمكن أن تملّي حبيبك الصّغير هكذا بين يوم وليلة، بعد كلّ ما فعلته من أجله» [2]

لكنّها لم تجب توسّلات الأمير لها، وأصرّت في إصدار حكم التّخلص من "أطلانتس"، لكنّ الصّغير أطلانتس أدرك وتأكّد تأكّدا تاما بأنّ المرأة ليست"تانس"، حيث طلب بإعطائه فرصة من أجل أن يثبت ذلك قبل تنفيذ الحكم عليه، وذلك عندما نادى أخته ثلاث مرّات لكي تحميه من شرّها وتبين ذلك في« وقف أطلانتس فوق المرتفع ونادى بأعلى صوته" تانس...تانس"، إنّ أطلانتس في طريقه إلى المذبح»[3]، عندما سمع صوت أخته تناديه من الوادي« ومذا تستطيع تانس أن تفعل لأطلانتس إذا كان رأسها مشدودا إلى صخرة، وصدرها يرزخ تحت صخرة أخرى»[4].

---

[1]- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص51.

[2]- المصدر نفسه،ص 51،ص 52.

[3]- المصدر نفسه، ص52.

[4]- المصدر نفسه، ص52.

من خلال هذه الأسطورة تبرز قيمة التّضحية الّتي قدمتها تانس في سبيل محبوبها "أطلانتس"، وذلك عندما قررت الانتقام من ضرتها بسبب الأذى الّذي ألحقته بها وبشقيقها، بعد أن ولاّها سكان الصّحراء الحكم وذلك بأن أمرت بتمزيق الضّرة بين جملين يقودهما شخصين مجنونان في اتجاهين متعاكسين، من أجل أن تنعم بنوع من الهدوء والرّاحة، ويكمن ذلك في« أتت بجوادين يركبهما معتوهان، شدّت رجل المرأة اليمنى إلى جواد، ورجلها اليسرى إلى الجواد الآخر، وانطلق الجوادان في اتجاهين متعاكسين، فتمزقت المرأة إلى نصفين» [1]، وقد كان لـــ"تانس" طريقة عنيفة في مباشرة الحكم على ضرّتها.

وبعد فترة قصيرة خالت نفسها تخلّصت من الفوضى الّتي سببتها الضّرة، حتّى ظهرت لها مشكلة أخرى، لا تختلف عن الأولى إلاّ بتبادل الأدوار، الأمير الّذي كانت تانس محطّ اهتمامه وإعجابه الكبير بها أصبح يغار من أخيها"أطلانتس"، حيث اندفع إليه شعور التّخلّص من "أطلانتس" لكي يبقى الشّخص الوحيد الّذي تعيره تانس اهتمامها و حياتها ويدرج ذلك في «ولكنّ الأمير أيضا بدأ يشعر بالغيرة من"أطلانتس" فاستدرجه إلى إحدى رحلات الصّيد، وأوثقه إلى شجرة طلح، وتركه في الصّحراء فريسة للذّئاب»[2]، وبعد عودته أخبر "تانس" عن ضياع شقيقها، لكنّ "تانس" لم تصدّق الخبر وذهبت مع جماعة من الأعوان من أجل البحث عنه، عندما وجدته قررت أن تنتقم من الأمير بسبب خداعه لها« عادت تانس إلى البيوت وقررت أن تنتقم من الأمير الّذي خدعها وحاول أن يسلبها أطلانتس»[3] فسعت تانس جاهدة للإيقاع بالأمير في مصيدتها، فكانت تتودّد إليه بأن تحلق شعره بغية اشتراكه في الكمين، فواصلت ممارستها لخطتها من أجل الإيقاع به وأفلحت في ذلك بأن

[1]- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص 52.

[2]- المصدر نفسه، ص52.

[3]- المصدر نفسه، ص53.

قطعت رأسه بدل أن تحلق شعره، وتمثل ذلك في« فاقترحت عليه أن تحلق شعره، ولكنّها بدل أن تقطع شعره، قطعت رأسه» [1].

وبعد انتقام "تانس" لأخيها من الأمير وزوجته السّابقة بدأت الواحة تزدهر وأصبح يطلق عليها جوهرة الصّحراء، لكنّ "أطلانتس" نتيجة إعجابه بها أصبح مولعا برحلات الصّيد، وفي إحدى الرّحلات غاب"أطلانتس" وضاع عن الوجوه المحبّة له« وفي إحدى الرّحلات غاب أطلانتس ما يزيد الشّهر فقلقت تانس وأرسلت أعوانا للبحث عنه، ولكنّهم عادوا بعد أيام دون أن يعثروا له على أثر»[2]، وهذا ما أثار غضب "تانس" ودفعها إلى الانزعاج والخوف عليه، فدفعها ذلك للبحث عنه، لكن لمّا أدركته وجدته تحت سدرة كبيرة ميتا من العطش ويظهر ذلك في« وجدته تحت سدرة ضخمة ميتا من العطش بعد أن تاه في محيط الرّمال العظيم» [3]

عندئذ اعترى تانس الحزن والأسى وخيبة الأمل لفقدان شقيقها، لأنّها لا تملك أحدا سواه بعد فقدانها أهلها في جوف الصّحراء الكبرى، لانّها ضحت بنفسها وعانت الكثير من أجل بقائه على قيد الحياة، ويظهر ذلك في بكائيّتها الشّهيرة:« أحببتك كما لم تحبك أمك الّتي ولدتك، أطعمت تالا وأماريس قطعا من لحمي حتى لا تنهشا لحمك...، احتضنك بين ذراعي عندما كنت أشرف على الموت جوعا دون أن يخطر ببالي أن تمسّ بأذى كما فعلت تالا وأماريس بأخويهن، تزوجت الأمير بعد أن نفّذ شروط حصولك على ما شئت...ومزقت زوجته إلى نصفين لأنّها أرادت أن تنفذ فيك حكم الموت، وقطعت رأس الأمير لأنّه ألقاك للذّئاب... فعلت كلّ شيء من أجلك، وعاقبت كلّ من

---

[1]- المصدر نفسه، ص53.

[2]- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص53.

[3]- المصدر نفسه، ص 53.

سوّلت له نفسه أن يمسّك بسوء، ولكنّ الصّحراء غلبتني وانتزعتك مني» [1]، ومن خلال هذه البكائيّة نلمس مدى الحسرة الّتي تنتاب تانس، ومدى التّضحية الّتي قدّمتها من أجل بقاء أخيها على قيد الحياة، ولقد ضحت بالنّفس والنّفيس من أجله، كما أنّنا نلمس نوعا من الحبّ الصّادق والصّافي.

لكنّ تانس لم تفقد الأمل لفقدان اطلانتس حيث قررت الانتقام من الصّحراء لأنّها سلبتها إياه، ويظهر ذلك في اللّعنة الّتي أطلقتها على الصّحراء تمثل ذلك في«فتبّا لك أيّتها الصّحراء الكبرى... ما أقساك! ولكن أقسم أنّني سوف أنتقم لك من الصّحراء أيضا فاهنأ في نومك الأبديّ، لأنّه لن يهدأ لي بال حتّى تغمر المياه رفاتك في القبر..وقتها تستطيع أن تقول أنّ تانس قد وفت بوعدها» [2]

ومنه تظهر شجاعة تانس وتحديها للصّحراء ويكمن ذلك في الانتقام الّذي قطعته ووفت به لأطلانتس، وذلك بأن تروي رفاته العطشانة وتجعل الصّحراء مصدرا تغمره المياه العذبه.

بعدها عادت تانس إلى الواحة وطلبت استدعاء كلّ من المنجمين و العرافين وخبراء الفلك وقراء الغيب من أجل أن يحددوا المكان المناسب لحفر النّبع بدافع قهر الصّحراء، وفاء بوعدها لحبيبها "أطلانتس" لكنّ العرافين طلبوا مهلة للتّشاور مع الأفلاك والنّجوم والكواكب، ويظهر ذلك في« قررت أن أغزو الصّحراء الكبرى بالماء، وأريدكم أن تدولوني بعلمكم وخبرتكم على المكان الّذي يصلح نبعا يروي محيط الرّمال، يجعل منه جنّة خضراء، لا بدّ أن تتحول قارة الصّحراء إلى جنّة خضراء»[3].

فمن خلال هذا الحوار الّذي دار بين تانس والعرافين تظهر قيمة التّحدي والتّهديد، حيث نلمس شجاعة تانس وإصرارها في مواجهة الصّحراء وقهرها.

---

[1]- المصدر نفسه، ص53، ص54.

[2]- ابراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص54.

[3]- المصدر نفسه، ص54.

وبعد تنبأ العرافين مكان حفر النّبع، تنبأ لها أحد المنجمين بأنّ الماء سوف يختفي باختفاء وجهها من الوجود، ويظهر ذلك في« تنبأ لها بأنّ المياه سوف تتدفق وتغمر الدّنيا طالما بقي وجهها يدبّ ويسطع فوق سطح الأرض، ولكنّ المياه سوف تختفي باختفائها من الوجود، ومقاومتها هي تحدّ لإرادة الآلهة لأنّها ظلّها على الأرض»[1]، لكنّ تانس لم تستسلم للقدر، وقرّرت مواجهة الطّبيعة بغية الوصول إلى هدفها والوفاء بالوعد الّذي قطعته لأخيها.

وبعد عام من الحفر المستمر انبثقت المياه، بعدها أطلقت تانس على النّبع اسم" أطلانتس" واستطاعت أن تفي لشقيقها بذلك الوعد، عندما شعرت تانس براحة تختلج أنفاسها وتمثّل ذلك في« الآن أستطيع أن أقول لأطلانتس أنّني وفيت بوعدي، وسقيت رفاته وانتصرت على الصّحراء القاسية الّتي انتزعته منّي وهو في عنفوان شبابه»[2]، لكنّ تانس لم تكتفي بما فعلته، بل تجاوزت ذلك إلى حدّ أنّها قرّرت أن تجعل من الواحة لوحة فنيّة تتّسم بالخضرة والعمران وسميت هته الواحة باسم أطلانتيدا، وهي جنّة اللّه على الأرض، وفي ذلك العهد تربعت تانس على عرش الإمبراطوريّة ما يقارب الأربعين عاما، وتمثّل ذلك في« تربعت على عرش الإمبراطوريّة أربعين عاما»[3]

نخلص إلى أنّ تانس تعتبر من أهمّ الشّخصيات الأسطوريّة المتكررة بكثرة في الرّواية، وهي المتحكّم الوحيد في مسار الصّحراء، وذلك يرجع إلى جمالها المرتبط بما يخفيه من أسرار

[1]- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر ، ص54.

[2]-المصدر نفسه، ص55.

[3]-المصدر نفسه، ص55.

وراء القمر، ومنه أصبح سكّان الصّحراء ينحازون إليها، ويقسمون بها، وتجسّد ذلك في« لا أقسم بالله أقسم بتانس»[1]، وهكذا أصبحت الإلهة تانس قديسة الصّحراء الكبرى .

لقد تفنّن الكوني في تسليط الضّوء على أسطورة تانس باعتبارها تحتوي على قيمة إنسانية عالية، وتتجلى أهميّة هذه الأسطورة في كون تانس إلهة القمر تعرضت إلى مواقف شاقّة، فهي شخصيّة عادية وغير عاديّة في نفس الوقت، تحمل العديد من المتناقضات، حب كبير لشقيقها، يقابله انتقام وحقد على كلّ ما يريد ايذاءه، ولقد وجد الرّوائيّ شخصيّة تانس رمزا غنيا للتّنفيس عن نفسه، وتعويض الفراغ الّذي يشعر به

5_ أطلانتيدا(المدينة الضائعة)

أطلانتيدا هي اسم المكان والحقيقة، عرفت عند القدماء باسم أتلانتس، كانت معرفة بقوّتها على سطح الأرض لما كانت تزخر به من ثروات باطنيّة، ولقد عرفت هذه القارة بالعلم والمعرفة حيث أصبحت ملجأ للكثير من العلماء والخبراء، وأصبح النّاس يقبلون عليها إقبالا واسعا لا تشهده ولا مدينة في عصرها وعرفت هذه المدينة بمدينة الآفاق« وجاء النّاس من وراء البحار والمحيطات بعد أن أصبحت منارة للعلم والحضارة، وقبلة لكلّ من ينشد العلم، أو يتوق للمعرفة، وأصبح يقال بأنّ أطلانتيدا هي جنّة اللّه على الأرض، ومن لم يزرها فانّه لم يعش في هذه الدّنيا» [2]

ولقد تحدّث عنها أفلاطون في وصفه للمدينة الفاضلة، حيث اعتبرها البعض بأنّها مجرّد قرة وهميّة افترضها أفلاطون نتيجة الاكتشافات الجديدة، أهمّها مدينة طروادة الأسطوريّة الّتي تفننت في الكتابات والأشعار، و الّتي تناولت معظم الحروب وبعض صراعات الآلهة الإغريق، ووجود بعض

[1]- المصدر نفسه، ص108.

[2]- ابراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص55.

الآثار في أعماق البحر المتوسط و الأطلسي، أصبح يعترف النّاس بأنّ المدينة حقيقيّة، ووجودها حقيقيّ لكنّها اندثرت عن الوجود نتيجة طوفان أو زلزال ما[1]

وهذا ما تؤكّده الأسطورة« أمّا قارة أطلانتيدا العتيدة فقد اختفت بعيدا في جوف الأرض، بعد طوفان الرّمال»[2]، في حين يشكّ البعض الآخر بعدم وجود هذه المدينة وهكذا اندثرت مدينة أو منارة العلم و الآفاق في جوف الأرض دون أن يعلم أحد سبب تلاشيها، وباختفائها اختفى معها كلّ شيء« لا شكّ أنّ في باطن الصّحراء كنوزا لا حصر لها، اختفت مع اختفاء القارّة» [3]، في حين تقول إحدى الروايات الّتي نقل أفلاطون بعضا منها من أطلانتس بأنّ مدينة أطلانتيدا كانت متطوّرة شيّدت الكثير من المعابد والقصور الفاخرة، وقد غزت عدّة حضارات أخرى شرقا وغربا[4]، وهذا ما جسّدته الأسطورة« فازدهرت المدينة وشيّدت القصور والبيوت ذات المعمار البديع، وأصبح يرتادها العلماء والخبراء والمنجمون من كلّ أنحاء الأرض» [5].

وكلّ هذا كان بفضل العلم والخبرات الفنّيّة الّتي كان يمتلكها سكان أطلانتيدا ممّا مكنهم من تشييد القصور والبيوت، ولقد غزت مدينة أطلنتيدا الكثير من الشّعوب وكانت المنتصر الوحيد في الأخير« أخضعت الملكة تانس بجيشها القويّ الجبّار الأمطار والأقطار، الشّعوب والقبائل، البعيدة والقريبة، وتربّعت على عرش الإمبراطوريّة أربعين عاما» [6]، وهذا إن كان يوحي بشيء فإنّه يوحي على مدى خبرة الملكة تانس، وقوّتها وتفانيها في الحكم ممّا جعلها مؤهلة لقيادة الإمبراطوريّة، كما أنّ قارّة أطلانتيدا كانت من أقوى الدّول في ذلك الزمن.

1- : https // ?p=89 //wwwts3a .com/majhoo

2- ابراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص56.

3- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص98.

2 - : https // ?p=89 //wwwts3a .com/majhoo

5- إبراهيم الكوني، الخسوف(البئر) ، ص55.

6- المصدر نفسه، ص55.

وعلى الرّغم من كلّ شيء اختفت أطلانتيدا تحت جوف الأرض المظلم، واختفى معها كلّ شيء حيث لم يتبقى ولا دليل يثبت لنا وجودها، وهذا ما دعا الفراعنة لإرسال بعثات للبحث عنها، حيث عثروا على بعض الآثار المصنوعة من الكوارتز في قاع المحيط الأطلسيّ، وهو أحد الأماكن المرشحة لتكون مكان غرق الأطلانتس، ممّا أدّى إلى إكتشاف بعض السّلاسل الحجريّة والأهرامات والطّرق في قاع المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وهذا ما أثبت وجود أطلانتس في مكان ما يخفيه ظلام المحيط الدّامس [1]ولقد ظلّت قارة أطلانتيدا أسطورة تتناقلها الأجيال من جيل إلى آخر، وتبقى أسطورة المدينة الضّائعة حدثا أساسيّا تتمحور حوله جميع الأحداث الّتي تأتي متلاحقة، ولقد وفّق الكوني في الدّمج بين الأسطوريّ بما هو حقيقيّ.

6- أسطورة الخسوف:

إذا أحبّ الله أن يبتلي القمر والشّمس، ويري العباد آية من آياته يستعتبهم رجوعا عن معاصيه، وإقبالا على طاعته، تحركت الشّمس عن العجلة، وقال مرّة خرّت الشّمس عن العجلة فتع في غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك.

وذلك من أجل شدّ العباد و تخويفهم، وإذا أراد الله أن يجعل آية دون آية، وقع النّصف منها أو الثّلث أو الثّلثان في الماء، ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف أو ما يعرف بابتلاء الشّمس والقمر، والّذي يظهر من ذلك الخسوف والكسوف هو ذلك السّواد الّذي يعلوه فهو من غمر ذلك البحر [2]

---

[1]- https :// wwwts3a .com/majhoo// ?p=89//

[2]- ينظر: محمد عجيبة، موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالتها،203.

إذ يعتبر الخسوف حالة من حالات الشّمس، والقمر، حيث نلاحظ من أوّل الرّواية بأنّ الشّمس والقمر متجانسين ومتزامنين.

وتؤكّد الأسطورة بأنّ الخسوف حدث نتيجة تخلخل نظام توازن الكواكب والنّجوم وكان ذلك بعد وفاة تانس وتمثّل ذلك في«وقادت الكواكب حملة ضدّ القمر، فحدث ما يسمى بـــ"الخسوف" لأوّل مرّة كما يؤكد المنجمون من أهل الخبرة والعلم»[1]

ونتج عن هذا زوبعة من الأعاصير و العواصف كنتيجة لصراع الكواكب ضدّ القمر، وطبيعة الخسوف وما فيه من متغيرات تثير الرّعب في الصّحراء، وهذا متعلّق بعدد المرات الّتي يحدث فيها الخسوف في العام، حيث أصبح سببا في نضوب الماء ويظهر ذلك في هذا النّص« ويؤكّد البعض أنّ لاختفاء المياه في البئر علاقة مباشرة مع عدد المرات الّتي يحدث فيها خسوف القمر في العام الواحد»[2]

وهذا ما أكّدته القصص الّتي برهنت سبب نضوب الماء في البئر، فالخسوف لا يحدث مرة واحدة في العام، بل يمكن أن يتجدد في العام الواحد، حيث يرتبط ارتباطا وثيقا بالقمر، ولقد استقطب الخسوف اهتماما خاصا داخل النّصّ الرّوائيّ، لما يحمله من صفات تؤكّد بأنّه السّبب في نضوب البئر، وعلى الرّغم من وجود مسافة فاصلة بين الشّمس والقمر، إلاّ أنّه نتج عن ذلك حادثة الخسوف فشدة ضوئه كانت تهدد بإفساد الأرض.

وعلاوة على ذلك فإنّ أسطورة القمر تقدّم لنا تفسيرات للبدايات، كما أنّها تقدّم لنا صورة عن معرفة محدودة بزمانها، حيث يمكن تجاوز التّصور الأسطوري الّذي رأيناه« فخسوف القمر سببه

[1]- ابراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص55،ص 56.

[2]- ابراهيم الكوني، الخسوف(البئر)، ص56.

توسط الأرض بينه وبين الشّمس»[1]، ومنه نستنتج بأنّ بئر أطلانتس ظلّ تحت حكم القمر وخسوفه، وكلّ هذا بسبب وفاة سليلة القمر تانس، حيث تحوّل القمر إلى كابوس مخيف لم يترك للصّحراويّ شيئا لإثبات هذا الموضوع المثير للعجب.

وبهذه الأساطير تبقى الصّحراء فضاء أهم ما يميزه هو التّضحية بالمادي والرمزيّ لا صلاح الرّوح الإنسانية.

فالأسطورة تكتنز في بنيتها العميقة على دلالات إنسانيّة وحضاريّة، ومن خلال هذه الأساطير الّتي وظّفها الكوني في روايته، استطاع أن يكشف عن دلائل الأساطير الإنسانيّة والحضاريّة والوجدانيّة، بأعمق حالاتها.

[1]- محمد عجينة، موسوعة أساطير العرب (عن الجاهليّة ودلالتها،) ص229.

خاتمة

خاتمة :

من خلال هذه الدّراسة حاولت تسليط الضّوء على حضور الأسطورة في الرواية الكونيّة، وبناء على إشكاليّات بحثنا خلصت إلى النّتائج التّالية:

الأسطورة جزء لا يتجزأ من الأدب عامة، ذلك أنّ الأدب كونه من العلوم الإنسانيّة، وأنّ الأسطورة نشأت للردّ على أسئلة الإنسان القديم الّذي تعجّب ممّا يحيط به من ظواهر الكون وأسرار الطّبيعة، ولجأ إلى الأسطورة ليفسّر تلك الأمور الغامضة لإشباع رغبته الباحثة عن الحقائق و التّفسيرات.

فقد جاءت هذه الدّراسة محمّلة بكلّ هذه المعاني متمثلة لمقولاتها مطبّقة إجراءاتها على هذا المتن الرّوائيّ الغنيّ بالأساطير والمفتوح على العديد من الدّراسات والقراءات.

وقد تبيّن لي من خلال هذه الدّراسة أنّ رواية البئر"لإبراهيم الكوني" جاءت حافلة بالأساطير، وقد كان"الكوني" مدركا لما يمثله هذا النّوع من الخطاب في فهم النّصّ، وذلك من أجل إغراء القارئ ولفت انتباهه ولذلك احتفى بتوظيف الأساطير بعناية.

فالبئر في نظر"الكوني" هو كلّ من ركع واستسلم للخسوف، أي كلّ من فضل الفضاء الماديّ على فضاء الرّوح والأرض، حيث تجاوز "الكوني" بدوره الزّمان والمكان في الرّواية، لكي ينقلنا من عالم الأسطورة والخيال إلى الواقع ومن الماضي إلى الحاضر.

وبهذا يكون"الكوني" قد ركز كثيرا على الصّحراء باعتبارها محور الانتباه والاهتمام في روايته، ويكمن ذلك في طبيعة الإنسان وعلاقته بالبيئة الصّحراوية، فبدون حريّة لا يوجد إنسان وبلا إنسان لا توجد حريّة، لكن هذه الحريّة لن تتحقّق إلاّ في الصّحراء وذلك بفهم

أسرارها وحلّ ألغازها وكشف مكنوناتها، خاصة وإنّ الارتباط بينها وبين الإنسان هو ارتباط قاس ومأساويّ، فالصّحراء في نظر "الكونيّ" جحيم لا سواه، وبهذا فحياة الصّحراويّ هي بحث ورحلة لا تنتهي إلاّ لتعقبها مفاجآت أخرى وهكذا تمرّ الحياة.

وبهذا يكون"الكوني" قد تمكّن من إبراز الدّلالة الحقيقيّة الّتي كان يريد الوصول إليها دون تصريح مباشر، وقد نجح في توظيفه للأساطير بطريقة فنيّة رائعة، تجعل القارئ يسبح في عالم من الخيال والخرافة، إذ حوّل هذه الأحاديث إلى أساطير، وكلّ هذا من خلال تجربته الرّوائيّة.

فالبئر لا تصوّر البيئة الصّحراويّة بوصفها مكانا جغرافيّا فحسب، بل تعنى بالحياة الاجتماعيّة والرّوحيّة للنّاس.

كانت تلك حويصلة ما توصلت إليه من نتائج وأنا أقرأ هذا النّصّ الرّوائيّ، أمّا الخلاصة الّتي توصلت إليها في النّهاية من خلال قراءتي لها وجدت أنّ الرواية مشحونة بجوّ من الصّراعات والأساطير و الآلهة وحيوانات الصّحراء، فالصّحراء تشير إلى الحقل الّذي تجري فيه أحداث الرّواية.

ختاما أحمد الله تعالى الّذي وفقني لإتمام انجاز هذا البحث، وأتقدّم بخالص الشّكر وجزيل الثّناء للأستاذة المشرفة اعترافا بفضلها في رعاية البحث، وعلى صبرها وفكرها طوال المدّة الّتي استغرقها هذا البحث وعلى ما أسدته لي من نصائح وتوجيهات، وعسى أن أوفق في عملي هذا، فنسهم في إثراء الحاضر بالماضي، وان كان إسهامها ضئيلا.

ملـــحـــــق

ملحق:

التّعريف بالروائي: إبراهيم الكوني من قبيلة الطوارق، ولد ونشأ بغدامس بالصّحراء الليبيّة، يجيد تسع لغات، وله أكثر من ستين كتابا ما بين رواية وملاحم أسطوريّة، وتأمّلات فلسفيّة يقوّم عمله الأدبيّ الروائيّ على عدد من العناصر المحدودة على عالم الصّحراء، بما فيه من قساوة وانفتاح على جوهر الكون والوجود، وتدور معظم رواياته حول تيمة أساسيّة هي البحث عن جوهر العلاقة الّتي تربط الإنسان بالطّبيعة، ويمكن القول أنّ رواياته تنتمي أدبيّا إلى مجال الرومانسيّة الجديدة و الّتي تتّسم بتخييل الواقع أو تغريبه.

- حصل الكوني على العديد من الجوائز العربيّة والعالميّة منها.

- جائزة الدولة السويسريّة، على رواية نزيف الحجر 1995م.

- جائزة الدولة في ليبيا على مجمل الأعمال 1996.

- اللجنة اليابانية للترجمة على رواية التبر 1997.

- اللجنة العليا للآداب المنشورة باللّغة الألمانيّة الّتي قدمتها الحكومة الفدراليّة لسويسرا 2001م.

- جائزة الرواية العربيّة(المغرب) 2005م.

- جائزة الرواية العربيّة مصر 2010م.

- وسام الفروسيّة الفرنسي للفنون والآداب2006.

– ومن أهمّ إصداراته: رباعيّة الخسوف، نزيف الحجر، التبر، المجوس، من أنت أيّها الملاك؟، جنوب غرب طروادة، جنوب شرق قرطاجة، الصادرة عن دار الصدى للصحافة والنّشر بالإمارات العربيّة المتحدة.

– فإبراهيم الكوني هو المالك لهذا العمل الأدبي المتمثل في الرواية البئر الجزء الثامن رباعيّة الخسوف، والّذي له سلطة الأبوّة لهذا المولود المتمثّل في هذه الرواية لذلك صدر به هذا العمل.

1-ملخص الرّواية:

شغف"أمستان" بفتاة من قبيلة "كيل أباد" اسمها "تارات"، وكان"أمستان" من قبيلة "أمنغاستن"، بعد أن عرفها في حفل موسيقيّ، وغنّت له عن أوتار أمزاد، وقطع معها وعدا أن يراها مرّة ثانية عند السّدرة الكبيرة، وفي ليلة الجمعة كان اللّقاء، وغنت له قصائد الهجاء، عن شاب من قبائل"الأمغاد"، بعدها علمت أمّ"أمستان" بالتقائه المتكرر بها، وأبدت رفضها بأن يتزوجها.

لم يسمع"أمستان" كلام أمّه وبدأ يخطّط كيف يتزوج "تارات" وأخذ يتذكر الأغنية الّتي أسمعتها له عن الشّاب الّذي تعاهد مع شابة على الزّواج، لكن ذلك لم يحصل لأنّ الشّاب قتل في"أغاديس" وانتحرت الفتاة من فوق جبل أكاكوس، وبهذا لاقت "تارات" نفس المصير الّذي تعرضت له الفتاة ألقت بنفسها من فوق الجبل، لكنّ"تارات" انتحرت تحت السّدرة الكبيرة نتيجة رفض الأهل زواجها من"أمستان" بعدها هام"أمستان" في الصّحراء الكبرى وحاول الانتقام لنفسه، ولم يستطع أحد معرفة مكانه، لكنّ الشّيخ غوما حاول في طريقة لاستحضار الغائب بواسطة صبيّة صادقة هي"زارا" ابنة "باتا" إلاّ أنّ العجوز الزنجيّة أخبرته بأنّ آيس موجودة بينهم، وهي طريقة الطّفل الصّادق، وكان ذلك بواسطة قطع من القماش الأبيض، وأكثر من إمرأة لقرع الطّبول ومرآة جديدة لم يسبق استعمالها، عندها طلب الشّيخ "غوما" من حفيده أن يخبره بما يراه في المرآة، فأخبره "آيس" بكلّ ما يراه، حينها استطاع الشّيخ معرفة مكان"أمستان"، وبعد عمليّة الاستحضار أصبح جبين الطّفل يتصبب عرقا ويرتعد بعد نجاح العمليّة ، وكانت ملامح الخوف بادية على وجه الشّيخ "غوما" على حفيده"آيس".

وعندما ذهب "غوما" ليتفقد حفيده طلب منه أن يقص عليه حكاية البئر، لكنّ الشّيخ أمره بأن ينام لأنّه لم يشفى بعد، ووعده بأن يقصّها عليه بعد شفائه، ويخبره بما فعله الله "بتانس" وأخيها أطلانتس في حكاية البئر.

يقع بئر "أطلانتس" تحت التّجمع من البيوت، وعلى بعد تقوم المقبرة الجديدة تليها القديمة، أمّا البئر فهو محاط بالأحياء و الأموات، ويؤكّد سكّان الصّحراء أنّ حفر البئر كان بداية الحياة في الصّحراء، وهو مركز الدّنيا وأصل الكون ومصدر الحياة في القديم، وتذكر أساطير أخرى عن مزاجه الغامض يفيض أحيانا وتتضاءل مياهه أحيانا أخرى، وتذكر أساطير أخرى أنّه ينضب كلّ ثلاث قرون، ممّا يضطر السكّان إلى الهجرة.

ابتلع الخلاء "تانس" وأخيها "أطلانتس" وكانت"تانس" ضمن الفتيات الثّلاث، وبعد بحث الأهالي عنهم لم يجدوا لهم أثرا، فاقترحت "تانس" بأنّ البحث عن الأهالي هو الحل، بعد أن تعرضوا لقساوة الصّحراء بما فيها من جوع وعطش، واقترحت"أماريس" ذبح إخوتهنّ لسدّ رمقهنّ لكنّ تانس أبت ذلك، وواصلت مسيرتا في طريق مخالف عن"أماريس"، جاء يوم مرت قافلة من هناك، فرأى الأمير وجه تانس في بئر الماء، وطلب منها الزّواج فقبلت وكانت سعيدة، بعدها التحقت بالقافلة زوجة الأمير الأولى، الّتي قررت الانتقام من تانس، وألقت بها في واد سحيق، ولبست ملابسها وقالت بأنّها لم تعد بحاجة "لأطلانتس"، عندها استغرب النّاس وأمرت بإعدامه لكنّ"أطلانتس" وقف فوق المرتفع ونادى "لتانس" فأجابته من الوادي السّحيق، كان صوتها يأتي من بئر عميق، هرع النّاس وخلّصوا"تانس" من أسرها وأعدموا المرأة المجرمة.

عندما شعر الأمير بالغيرة من"أطلانتس"، أوثقه بشجرة في الصّحراء، لكنّ تانس أدركته وانتقمت من الأمير وقطعت رأسه، وأصبحت تانس أميرة على الواحة وأطلق

عليها جوهرة الصّحراء، وفي أحد الأيام غاب أطلانتس عن الواحة في الصّيد، عندها وجدته "تانس" ميتا تحت سدرة ضخمة بسبب العطش، بعدها قررت أن تفي بوعدها وتنتقم من الصّحراء الّتي قتلت أطلانتس، بحيث جعلت المياه تغمرها، وبعد حفر النّبع سمي باسمه، وتربعت "تانس" على الإمبراطورية أربعين عاما، وعند موتها حدث ما يسمى بالخسوف، وقادت الكواكب حملة ضدّ القمر، وغمرت أطلنتيدا بالأعاصير، وبهذا أصبح بئر"أطلانتس" تحت إمرة القمر، فخضع لفترات النضوب مع خسوفه.

قائمة المصادر والمراجع

I- المصادر

القرآن الكريم

1-إبراهيم الكوني، الخسوف (البئر)، دار التّنوير للطّباعة والنّشر، ط2، دم،1991.

II- المراجع

2-ابن منظور، لسان العرب، دار الصّادر، ط4، بيروت لبنان، 2005، المجلد السابع

3-أحمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشّعر العربي قبل الإسلام، سيتا للنّشر، ط1، القاهرة، دت.

4-أحمد كمال زكي، الأساطير،(دط)، (دم)، (دس)

5-جوادي كاشا، نوادي الجمعيات الثّقافيّة، النّادي الأدبي للثّقافة، منتديات تندوف.

6-حلمي القمص يعقوب، النقد الكتابي، مدارس النّقد والتشكيك والرّدّ عليها، مكتبة الكتب المسيحيّة.

7-رافيين.ك، الأسطورة، تر: جعفر صّادق الحقيقي، منشورات عويدات، دط، بيروت، 1998.

8-رينيه ويليك، وأوستين وارين، نظريّة الأدب، تر: محي الدّين صبيح، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، وت، دط، بيروت، 1987.

9-سمير سعيد الحجازي، قاموس مصطلحات النّقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربيّة، ط1، 2001.

10-سيد محمود القمني، الأسطورة والتّراث، المركز الرّسمي لبحوث القاهرة، دط، مصر، 1999.

11-صمويل نوح كريمر، أساطير العالم القديم، تر: أحمد عبد الحميد يوسف، الهيئة المصريّة، دط، مصر، 1974.

12-فاروق خورشيد، أديب الأسطورة عند العرب(جذور التّفكير وأصالة الإبداع) ، عالم المعرفة، دط، الكويت، 2002.

13-مجمع اللغة العربيّة، معجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التّربية والتّعليم.

14-مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشّروق الدوليّة، ط4، دم، 2004.

15-محمد عجينة، أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالتها، دار الفارابي، ط1، بيروت لبنان، 1924.

16-محمد عزّت جاد، نظريّة المصطلح النّقدي، مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب، دط، مصر، 2002.

17-محي الدّين صبحي، النّقد الأدبي الحديث(بين الأسطورة والعلم)، الدّار العربيّة للكتاب، دط، تونس، 1998.

18-ميخائيل مسعود، الأساطير والمعتقدات قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، دم، 1994.

19-نبيلة سالم، أشكال التّعبير في الأدب الشّعبي، دار النّهضة، ط1، مصر، القاهرة، دس

20-وليد بوعديلة، شعريّة الكنعنة(تجليات الأسطورة في شعر عزّ الدّين مناصرة) دار مجدلاوي، ط1، دم ،2009.

21-: https ?// wwwts3a .com/majhoo//

فهرس

فهرس

مقدّمة.....1
الفصل الأوّل: الأسطورة: مفهومها، أنواعها.....5
1_ مفهوم الأسطورة.....5
2- الإرهاصات الأولى لنشأة الأسطورة.....12
3- اتّجاهات دراسة الأسطورة.....16
4_ أنواع الأساطير.....20
5- علاقة الأسطورة بالأدب.....24
الفصل الثّاني: تجليّات الأسطورة في رواية البئر.....29
1- أسطورة أكاكوس.....29
2- أسطورة السّدرة الكبيرة.....30
3- أسطورة بئر أطلانتس.....31
4- أسطورة (تانس سليلة القمر).....34
5- أطلانتيدا(المدينة الضّائعة).....40
6- أسطورة.الخسوف.....42
خاتمة.....46
ملحق.....49
ملخص الرواية.....51
قائمة المصادر والمراجع 55
الفهرس.....59